

محمد بن عرفة معرّب كتاب "فلاحة النوار"

وملاحظات في تاريخنا الاجتماعي

بقلم محمد بن الأصفر

(الإهداء : إلى روح صاحب "تراجم المؤلفين التونسيين" المرحوم

محمد محفوظ 1921-1988)

أصدرت الجمعية التونسية للمعجمية العربية التي يرأسها الدكتور م
رشاد الحمزاوي بمساعدة الأساتذة إبراهيم بن مراد وعبد اللطيف عبيد
وغيرهما... أصدرت عددا خاصا بمساهمة التونسيين في إثراء المعجم
العربي...

ومن بين الدراسات وأجادة بقلم الأستاذ فرجات الدريسي المدرس
بكلية الآداب بالعاصمة أبدى فيها نشوته بالظفر بمخطوط في مادة
التعريب العلمي لم يتعرض له الدكتور محمد مواعدة في كتابه عن حركة
الترجمة في تونس (حسب زعم الدريسي).

هذا المخطوط هو "فلاحة النوار" ومعرّبه هو : "محمد بن عرفة".

وقد حاول الأستاذ الدريسي التعريف بصاحب التعريب إلا أنه لم
يعثر على ذلك في المصادر والمراجع المختصة بالتراجم والطبقات. فالتحأ
إلى تاريخ ابن أبي الضياف (الإتحاف) للاستفادة من العناصر التاريخية
المتعلقة بقبيلة (دريد) ذلك أن محمد بن عرفة قد صاغ اسمه كما يلي

: "محمد بن عرفة الدريدي الجويني" ... وفي ذلك اجتهاد مستحسن من الباحث .

وبما ان محمد بن عرفة هو الجد الثالث لوالدي من جهة جدته (جدة والدي) للألم فلإني سأحاول التعريف به بقدر الإمكان وذلك في إطاره العائلي والاجتماعي والثقافي مما يجعلني انزلق إلى ابداء بعض الملاحظات المتصلة بالتاريخ الاجتماعي لتونس.

على أنه وقبل ذلك أنه وق تجدر الإشارة إلى خطأ ذي جزئين ارتكبه محمد بن عرفة نفسه وهو بصدد ذكر نسبه كاملا. الجزء الأول من الخطأ هو ذكر الفرع متأخرا على الأصل كما يلي : " ... الدريدي الجويني " والصواب تاريخنا هو " ... الجويني الدريدي " باعتبار أن بني جوين فرع من دريد الهلاليين (1) وليس العكس لذا وجب تقديم الفرع على الأصل فيكون محمد بن عرفة الدريدي الجويني كما يلي : " محمد بن عرفة الجويني الدريدي ". أما الجزء الثاني من الخطأ فهو إن : "أولاد عرفة" هم فرع وبنفس الدرجة التي بها "أولاد جوين " (2) بالنسبة للأصل الذي هو (دريد) بحيث أنهم من نفس الطبقة فمن كان "ابن عرفة" لا يمكن أن يكون "الجويني" إذ لا يمكن أن يكون الواحد فرعين من نفس الأصل في نفس الوقت ومن نفس الطبقة...

و (أولاد عرفة) و (أولاد جوين) كلاهما فرع من (دريد) الهلاليين الذين قدموا إلى تونس وانتشروا بربوعها كما فر البعض منهم إلى "الزاب" بالجزائر في القرن الخامس هجري الموافق للقرن 11 ميلادي في

نطاق ما يعرف بالزحف الهلالي. فيكون الصواب كما يلي (محمد بن عرفة الدريدي) باسقاط (الجويني).

على أن ذكر الكاتب لنسبه فيه فائدة على الأقل يبان انه هناك أكثر من اصل واحد للقب (ابن عرفة) في المغرب الإسلامي فهو ليس من قبيلة الامام ابن عرفة الوريثية (3) وهو ليس من أحفاد سيدي عرفة الشابي (4) عميد الامارة الشابية بالقيروان حيث أن أحفاده عرفوا بلقب "عرفة" و "عرفة منسية" مثلما عرفوا بلقب "الشابي" ... ، وهذا معمم من وجهة نظر (علم اسماء الاعلام Onomastique) ، فضلا عن أهميته التاريخية.

فإذا كان محمد بن عرفة من قبيلة دريد الهلالية التي استوطنت بجهة مجاز الباب فكيف دخلت حاضرة تونس كما دخلت نسيجها العائلي والذي أعرفه بمقتضى القرابة الدموية هو أنه ليس في الذاكرة العائلية ما يعود إلى ذلك الطور البدوي الذي عاشته العائلة في نطاق الحياة القروية أي شيء.

وإذا كان فرع عائلة (الرياحي) من قبيلة (رياح) الهلالية بدوره قد دخل الحاضرة عمرانيا ومن حيث النسيج العائلي بواسطة (العلم) عن طريق العالم الصالح سيدي ابراهيم الرياحي بما قطع العلاقة مع الطور البدوي الذي يعود إلى أول هلالي جاء لتونس ثم تلا قدومه بجي الهلالين وهو مؤنس بن يحي الرياحي ... فإن السند العلمي لعائلة ابن عرفة لم يكن هو المحدد لتمدن العائلة والأرجح أن (المخزن) بمفهومه

الأوسع المتداول خاصة في المغرب الأقصى وهو خدمة الدولة توارثا طبقة عن طبقة هو الذي أخذ عائلة محمد بن عرفة الدريدي إلى حاضرة تونس وإلى نسيجها العائلي.

وقضية الدخول على النسيج العمراني والعائلي لحاضرة تونس قضية جد معقدة وهي من أمهات التاريخ الاجتماعي لتونس إذ لئن كانت أبواب الدخول معروفة وأهمها العلم عن طريق جامع الزيتونة و(المخزن) عن طريق خدمة الحاكم بالنسبة للأهالي و (ديوان الجند) و (سلك المماليك) بالنسبة للوافدين من خارج البلاد الذين نسميهم تجاوزا أو تسامحا بالأتراك وما هم بالأتراك في أغليبتهم الساحقة على أنهم قد يكونون عثمانيين (نسبة للامبراطورية العثمانية) أنهم وافدون من اشلاء الامبراطورية العثمانية (Levantains) أي مشارق من غير الشرق الأوسط الذي هو عربي بالأساس.

<http://Archivebeta>

وقد ثبت بالفعل ان محمد بن عرفة دخل - من بعد أبيه وربما جده أو من هو أعلى منه- إلى حاضرة تونس من باب (المخزن) فقد أكد لي الشيخ الوالد صلاح الدين بن الأصفر باش منشد الطريقة الشاذلية بالحاضرة كما أكد لي عمي عبد الجليل بن الأصفر أن خال أمهما السيد حسن بن عرفة رحمه الله وهو ابن محمد بن عرفة الذي اجتمعا به مرارا وتكرارا بحكم العلاقة العائلية، أكدا لي أنه يقول عن أبيه ما تقوله عنه جدكما حبيبة زوجة المنعم العدل أمين سوق البركة بالعاصمة محمد بن علي زفزوف وهي ابنة محمد بن عرفة أنه كان (كاتب بنك) ؟

بالوزارة (أي الوزارة الكبرى) . وذلك قبيل الاحتلال الفرنسي وبالعودة إلى الأمر المنظم للوزارة الكبرى (4) وبقية المصالح الوزارية التابعة لها النافذ أيام الصادق باي إلى دخول فرنسا إلى تونس .

اتضح ان هناك خطط (كاتب) و (كاتب ثان) ولا يفهم من النص هل أن خطة (كاتب ثاني) هي درجة إدارية ام أنها مجرد تعديد للكتاب بالوزارة على أنه لا يوجد لفظ (بنك) مما يدل أن الكتبة كانوا يجلسون على (البنك) أي (الأريكة) عند مباشرة عملهم لا أكثر ولا أقل .

وسواء كان محمد بن عرفة كاتباً أو كاتباً ثانياً بالوزارة فهذا دليل على مكانته لأن الكتبة بالوزارة المذكورة ليسوا كثيرين ثم إن اثنين من ابنائه الأربعة قد عملا بالإدارة أي في خدمة الدولة ومن المصادفات أن خدمة الدولة تواصلت مع حفيده عبد العزيز بن عرفة الذي كان من الاطارات العليا بإدارة المال وقد كان رئيساً لأملاك الدولة (امتداد الجمعية الاسلامية للأوقاف) ولعل المصادفات تكون أقوى لو عرفنا أن ابن حفيده هو كاتب الدولة الحالي للتعاون الدولي السفير أحمد بن عرفة، وفاء (للمخزن).

فأين تلقى محمد بن عرفة دراسته حتى يكون قادراً على دراسة الفرنسية والتعريب انطلاقاً منها ؟

من المعلوم أنه أنهى دراسته قبل دخول فرنسا باعتبار التاريخ الوارد بدراسة الأستاذ فرحات الدريسي والذي أنهى فيه محمد بن عرفة تعريب كتاب (فلاحة النوار). ثم هو لا يمكن أن يكون من تلامذة الصادقية

لنفس الأسباب ورغم كل ذلك راجعنا قائمة الدفعة الأولى من تلاميذ الصادقية التي أثبتتها الدكتور المنحي صميذة بأطروحته عن خير الدين الوزير المصلح ... وقطعنا الشك.

لم يكن هناك إذا غير المدرسة الحربية بباردو. فهل كان من تلاميذها ؟ هذا ما يجب بحثه لأن المراجع التاريخية المتداولة لا تذكر إلا الضباط البارزين أمثال خير الدين وحسين ورشيد ورستم... أو كبار الموظفين كمدير أرشيف دار الباي ومدير المدرسة الصادقية. آخر تلاميذ المدرسة الحربية محمد القروي ... ومن الثابت أن بالمدرسة تلاميذ عديدون عملوا في سلك الدولة قد يكون محمد بن عرفة من بينهم وهذا الاحتمال وارد لأن مدرسة باردو لم تقتصر على المماليك كتلاميذ وقد تفتحت على أبناء (المحازنية) الذين من بينهم محمد القروي المذكور قبله. فلم لا يكون محمد بن عرفة من تلاميذها كذلك؟.

أما عن سبب خطأ محمد بن عرفة في (إضافة) لقب (الجويني) للقبه فهو حسب اعتقادي وبحكم قرابتي بكل من عائلة (ابن عرفة) وفرع عائلة (الجويني) التي اشتهرت بخطط الادارة الجهوية أو (ادارة العمالة) حيث تعدد فيها (الخليفة والقايد) ... فهو اتحاد الأصل وتبادل المصاهرة من ذلك أن إحدى بنات محمد بن عرفة الثلاثة متزوجة من أحد أبناء الجويني ويبدو أن القبائل العربية لا تنهي علاقاتها ببعضها عند الدخول في النسيج العائلي لمدينة تونس بسهولة إذ يذكر المرحوم حسن بن عرفة للشيخ الوالد أنه كانت هناك علاقة بين محمد بن عرفة والشيخ ابراهيم

الرياحي المعروف بتقدم تلاميذه ومعارفه للخطط الشرعية الكبرى إذ كان على ما يبدو يحرص على تقديم الأهالي على العناصر الأجنبية من مماليك وشراكسه من ذلك الشيخ التميمي من قبيلة تميم العربية بل وحتى البربرية مثل الشيخ البحري بن محمد بن عبد الستار المانسي الذي دخلت اليوم عائلته في نسيج العاصمة تحت لقي (البحري) و(ابن عبد الستار) وأصبحت تعد من أعيان (البلدية)... مقابل التنكر من قبل الفروع التي دخلت إلى النسيج العائلي لمدينة تونس للأصول التي بقيت في منازلها الأولى التي تعتبر مسقط رأسها... فلا علاقة بين فرع الرياحي بالعاصمة وبقية فروع القبلية بقبلاط وهنشير العروسة... إلخ. ولا علاقة لآل القيزاني بالحاضرة وبقية فروع (القوازين) أجوار (الكعوب) من القبائل التي تقطن حوالي جهة القيروان... بل إن أحفاد كلا من العربي زروق (الباجي) وأحمد زروق (المملوك) يشعرون بالعلاقات بينهما أشد مما هي بين آل العربي زروق الحاضرة وبقية فروع (الزراقة) في البلاد التونسية...

هذه بعض الملاحظات كان الانطلاق فيها من التعريف بمعرب كتاب (فلاحة النوار) جدي الرابع من جهة جدي للأب وكانت مناسبة لتحليل بعض مظاهر تاريخنا الاجتماعي أردت منها رفع صفة النكرة عن هذا الجد ذ رحمه الله ولكن أردت كذلك الإشارة إلى أبواب الدخول إلى نسيج تونس العائلي والاجتماعي... وكلكم من آدم وآدم من تراب وانه فوق كل ذي علم عليم ولنا عودة بل عودات إن شاء

إحالات :

- (1) المرحوم محمد المرزوقي - منازل بني هلال - الحياة الثقافية - تونس
- (2) انظر ترجمته - كشكول مسافر - د. محمود عبد المولى
- (3) د. علي الشابي (عرفة الشابي)، الدار العربية للكتاب - تونس 1982
- (4) نصوص ووثائق سياسية تونس - عبد الفتاح عمر وقيس سعيد

إن تاريخ تطوّر البشرية حتى يومنا الراهن صنعتها العقول المبدعة والخيالات، هذه العقول التي سلكت دروبا مضنية وشاقة من العذابات والتحمل والمثابرة حتى وصلت إلى آفاق منيرة ومضيئة، أفسحت المجال أمام البشرية لتخطو خطواتها إلى الأمام عبر مسيرة حافلة بالعطاءات المتقدمة والمساهمة في تقدّم المجتمعات البشرية وتطورها عبر الحضارة والرفق، وبالاستناد إلى ذلك لا بد لنا من فهم كنه المبدعين والعملية الإبداعية عبر تناول العوامل المؤدية إلى الإبداع وبنفس الوقت العوامل المعرّقة له، سنحاول في هذا البحث دور المؤثرات التربوية والاجتماعية في الإبداع وتنميته

وقبل تناول دور المؤثرات التربوية والاجتماعية في الإبداع والمبدعين لا بد لنا من

تعريف الإبداع والتفكير الإبداعي

الإبداع والتفكير الإبداعي

الإبداع هو إنتاج شيء ما، على أن يكون هذا الشيء جديدا في صياغته التفكير الإبداعي : يمكن القول بأنّ التفكير الإبداعي في أساسه تفكير افتراضي (أو تغيير) يتميز بالبحث والانطلاق في اتجاهات متعددة ، أي هو يتميز بالتعامل بطرق ابتكارية طريفة مع الرموز اللغوية والرقمية وعلاقات الزمان والمكان ...

دور المؤثرات التربوية والاجتماعية في الإبداع وتنميته

الإبحار / 172 / ديسمبر 2006 ص 39

مكانة العلامة الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور في الأوساط الدينية والثقافية والاجتماعية

بقلم: الأستاذ عبد الكريم العطاوي

من الصعوبة بمكان، أن نلم بنشاط شيخنا المحبوب محمد الفاضل ابن عاشور، لأنه جهبذ من جهابذة العلم والثقافة والمعرفة الدينية، والفلسفة الاجتماعية، واللغة العربية، التي برّأته - آنذاك - منزلة رفيعة، وحلبت له احتراماً وتقديراً كبيراً من لدن طلبته وزملائه وشيوخه، وكذلك من الشعب التونسي والعربي والإسلامي. بمختلف شرائحه الاجتماعية والثقافية نظراً لما كان يمتاز به من دماء أخلاق، وسعة علم، ورحابة صدره وحصافة رأي وتواضع فطري مع الكبير والصغير والغني والفقير. هذا العلامة المحبوب، برز من أسرة عريقة في العلم والأخلاق الفاضلة. إذ يرجع نسبه من ناحية الأب إلى آل عاشور من أشراف الأندلس ومن ناحية الأم إلى آل محسن تلکم الأسرة الشريفة الغنية عن التعريف بما لها من صيت ذائع في محافل الإمامة والتدريس والتوثيق.

ولد بضاحية المرسى في الثاني من شوال وفي 16 أكتوبر 1327هـ - (1909م)، ونشأ محفوفاً برعاية كافة أفراد العائلة، تحيط به العناية الفائقة من كل جانب، فكان غاية في حسن الأخلاق - كما ذكرنا

أنفا- مع وداعة وحزم، ولعل هذا يرجع إلى العناية البالغة من والده شيخ الجماعة محمد الطاهر ابن عاشور صاحب كتاب : "التحريير والتوير" الذي اهتم بتكوينه وتربيته وتنشئته تنشئة فاضلة على محاسن الأخلاق ومناهل العرفان التي جعلت من شخصه قدوة حسنة لغيره.

بفضل هذه التنشئة الفاضلة والتربية العصرية المطبوعة بطابع ديمقراطي - نشأ وسط هذه الأسرة الكريمة- نشأة فطرية فكان يتعاطى - منذ صغره- نشاطا مغايرا- تماما- لنشاط اترابه وقتئذ، مما جعل شيخه معاوية التميمي يلاحظ عليه ذلك عند الشروع في إلقاء درسه- في قاعة الدرس- حيث كان يخصه باحترام وتقدير كامل - من بين زملائه- كما قال منها به أمام أقرانه.. معاوية الأبر يلقى الدرر على رؤوس البقر إلا أنت يا فاضل، ونشاطه الذي كان يتعاطاه يومئذ اكبر من سنّه : كالتمثيل، وحتم الحديث بمكرهم أمام أفراد أسرته الذين كانوا جميعا يكرّون فيه هذه الموهبة العجيبة، ويقدرّون فيه أيضا ذكاءه ونبوغه الفطري الذي مكنه في وقت وجيز من طي سني الدراسة طياغير مألوف.

وما إن بدأ دراسته العليا حتّى كانت الأنظار تلتفت إليه، والآمال معقودة عليه فشارك في جميع مناظرات التدريس، وفاز في جميعها فوزا باهرا، ومن ثمّ انخرط في سلك التدريس بالخلدونية والزيتونة والصادقية، وكان في جميعها محل إعجاب وتقدير من طلبته الذين قالوا منوهين به إنه كالبحر المتلاطم الأمواج في سعة علمه. ولم يقتصر نشاطه على

التدريس فحسب، بل قدّم خدمات جليلة لوطنه التونسي تمثلت في تأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل في 20 جانفي 1946 برئاسته، وانتخاب الزعيم فرحات حشاد أميناً عاماً للاتحاد فكان حدثاً عظيماً، جمع الشغاليين والمدرسين في وحدة نقابية صماء فارتعدت السلطة الفرنسية الاستعمارية لهذه الوحدة واندحشت عندما رأت تعاوناً بين النقابيين ورجل الدين.

كما اشترك مع رجال الحزب الحر الدستوري التونسي في النضال الحزبي، وأسس كثيراً من المؤسسات الخيرية، وشارك في كثير من المؤتمرات الثقافية التي كانت تعقد في تونس وفي الوطن العربي والإسلامي، حيث عمل مع زملائه المخلصين كالشاذلي بلقاضي على إصلاح التعليم الزيتوني المتمثل في بقاء الحلي الزيتوني الذي جمع له كثيراً من التبرعات من كافة الشعب التونسي الكريم وفي إصلاح نظام المدرسين بالجامع الأعظم وبعث مشروع البكالوريا العربية الذي مكن طلبة الزيتونة من دراسة العلوم الرياضية والطبيعية والتاريخية واللغات الحية دراسة متقنة. ومن ثم نظمت هذه الدروس بالخلدونية التي كان رئيسها يومئذ . وتحقق ما كان يصبو إليه من اعتراف الجامعات العربية بهذه الشهادة التي أصبحت مساوية لشهادة انتهاء الدروس الثانوية عندهم، وما إن أحرز الرعيل الأول على هذه الشهادة حتى التحقوا بالجامعات العربية ودرسوا تلك المواد الرياضية والعلمية والطبيعية والتاريخية واللغات الحية بالعربية ومن ثم عادوا إلى وطنهم التونسي بعد

الانتهاء من الدراسة الجامعية، فاكستبت البلاد رصيدا جديدا من أساتذة يدرسون مختلف العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية وغيرها بالعربية التي هي أساس ثقافتهم وعماد تكوينهم وضمائن مجدهم.

كما كان إلى جانب ذلك يحرك النضال في الشباب التونسي بقصائده الملهية للمشاعر الوطنية، ودفاعه المستميت عن العربية التي هي رابطة للوحدة العربية في كثير من المؤتمرات التي كان يصعد بها في خطبه ومحاضراته وتراثه الذي تركه من بعده وهو في الحقيقة لا يعبر عما قام به من جهود، مما دفع والده بعد وفاته على تأليف لجنة من خيرة الأساتذة لجمع تراثه ونشره، فكللت أعمالهم بالنجاح.

هذه اللجنة تتركب من السادة الشاذلي بلقاضي - المختار بن محمود - ومحمد الحبيب بن الخرجة - والحبيب شيبوب - مصطفى الغزالي - محمد المجدوب - الحبيب هياج - محمد علي رضا ابن عاشور - عبد الملك ابن عاشور - تخليدا لذكراه وخدمة للعلم فظهرت آثاره ومولاته التالية:

- 1- في الإسلاميات : التفسير ورجاله - المصطلح الفقهي والمذهب المالكي - المحاضرات المغربية - الامام سحنون والفقهاء الاسلامي
- 2- وفي الأدب والتاريخ والتراجم: الحركة الأدبية والفكرية في تونس - أركان النهضة الأدبية في تونس - أعلام الفكر الاسلامي في تاريخ المغرب العربي - تراجم الاعلام
- 3- وفي اللغة والنحو : تقديم وتحقيق كتاب (أفعل) - اختلاف المبرد مع سبويه

4- وفي القومية العربية : فلسطين الوطن القومي للعرب

هذا التراث القيم المنسوب لشيخنا محمد الفاضل ابن عاشور قليلا. لو جمع ما قام به من محاضرات وأحاديث إذاعية وغيرها لتطلب مجلدات ضخمة.

هذا الرجل الفاضل التحق إلى جوار ربه يوم الاثنين 14 صفر و 20 أفريل سنين 1390هـ (1970م) في الساعة الثامنة والربع ليلا فكانت الفاجعة الكبرى والخسارة العظمى والنكبة القاسية التي اهترت لها البلاد التونسية وكافة الأوطان العربية والإسلامية التي فقدت فيه بطلا من خيرة شجعانها ومدافعا صارما لحماية كيائها.

دفن بمقبرة الجلّاز بعد أن تولى صلاة الجنازة عليه والده بجلده ورباطة جأشه، وكان لسان حاله يرّدد الكلمة "التوبة تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب". <http://Archivebeta.Sa.khri.com>

بعد ذلك بزمن ليس بقصير، نظمت كتابة الدولة للشؤون الدينية في أواخر شهر نوفمبر 1991 ملتقى علميا وفكريا خصص لدراسة جوانب من شخصية فضيلة الشيخ، بمناسبة مرور عشرين سنة على وفاته وعلى مدى يومين كاملين التقى رجال الفكر والعلم، وأشادوا جميعا بمناقب وخصال هذا الرجل، وألقى الحاضرون المواضيع التالية :

- 1- الدكتور علي الشابي كاتب الدولة للشؤون الدينية : كلمة الافتتاح
- 2- الدكتور الحبيب الجنحاني : محمد الفاضل ابن عاشور من خلال كتابه الحركة الفكرية والأدبية بتونس

- 3- الأستاذ مختار عمار: مدخل إلى دراسة الشيخ الفاضل بن عاشور
- 4- الأستاذ الحبيب عياش : الشيخ الفاضل في آدابه المتكاملة
- 5- الأستاذ حمودة السعفي: نظرية المعرفة عند الشيخ
- 6- الأستاذ محمود شمام : الشيخ القاضي والمفتي
- 7- الأستاذ الحبيب شيبوب: الشيخ من خلال مقالاته الصحافية وأسماره الإذاعية

- 8- الأستاذ عبد المجيد بن حمد: فن التراجم عند الشيخ
- 9- الأستاذ محمد العروسي المطوي: ذكرياته مع الشيخ الفاضل
- 10- الأستاذ حمادي الساحلي: اهتمام الشيخ باصلاح التعليم الزيتوني
- 11- الدكتور محمد الرشيد الماجد المستشار بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ومدير المركز الإعلامي السعودي: شهادة وفاء وعرفان كقولہ : "الشيخ مبدع من مبدعي الأدب الراقى، وجهيد من جهابذة المعرفة الأصلية.

12- ماذا يقول الشعر في ذكره

هذا الذي ملأ الحياة صداه

يا شعر أنشد خير وزن للذي

نحيا بذكره نعتدي بخطاه

هو فاضل لا تنتهي نبراته

في مسمع الدنيا ولن ننساه

رّمز النهى ومنارة الأجيال في

علم وفي لغة وفي تقواه

وسمّعت يوم العروبة هاتفا

في وجه من ظلّموا وما أقواه

وفي المجمع اللغوي في مصر ارتقى

أعلى المناير خادما فصحاء

عش في خلودك يا أبانا إننا

نستقبل الذكر كما ترضاه

باق هواك على امتداد حياتنا

فأرحم بفضلك فاضلا ربّاه

سنظل باسمه سائرين إلى العلا

والعهد نحن على المدى نرعاه

هذا القطب الكبير، والأسوة الحسنة، والنبراس المضئ لحياتنا، لا نستطيع أن نترجم كل ما كان يتحلّى به في حياته الأدبية والعلمية والدينية والاجتماعية والثقافية، لأن مكانته سامية جدّا، لا يمكن لأي كان أن يدركها في اعتقادي والسبب في ذلك يعود إلى نبوغه وعبقريته التي تعلو ولا يعلو عليها.

وفي الختام أدعو له بدعاء ختم القرآن، فأقول اللهم بلغ ثواب ما قرأناه ونور ما تلوناه. لروح سيدنا ونبيّنا محمد عليه الصلاة والسلام ولروح شيخنا وسيدنا محمد الفاضل ابن عاشور أمين يارب العالمين .

جزر الوعي

بقلم الباحث : محمد الرزقي*

المقدمة :

إنَّ مرور الإنسان عبر بوابات التاريخ، لم يشقه ولم يضمنه، كما أشقته بوابة هذا القرن التي سلبته كيانه وأفرغته من إنسانيته، لتجعله يواجه الإفلاس والتحطم، فيتحوّل إلى ركام زهيد، وأرض بلقع صلعاء، فتبني الأشياء خارجه ليتهدم هو من الداخل؛ فيكون مجرد وسيلة وضيعة لا غير، ممّا يهدد الفرد بدخول بوابة العدم، وينذر الإنسانية بمصيبة التلاشي.

فما هو السبيل لانتشال الإنسانية من هذه الكارثة ؟ وكيف يمكننا الظفر بالإنسان أو على الأقل تتبع طبقة أو نمثل حركاته؟ فهل أن الإنسان إنحسر وجوده فأصبحنا لا نلقاه إلا في الكهوف مژوياً؟ أم هو بيننا فصار غريباً لا يفتن إليه أحد ، ولا يفهم كلامه إلا الغرباء، أم إنه نقرض، أم يا ترى انتحر.

لكن ماهذا الكلام؟ أليس هذا الكلام حقاً أضغاث أحلام، بل هو أحلام سكران أم هي يا ترى حقيقة الإنسان... إنسان هذا الزمان... وإنسان هذا المكان.

1- الوعي وأفعال الحس .

يعيش الإنسان اليوم خارج المعنى وخارج ذاته، ولا يحس بذاته إلا بعد كلّ عملية أكل، فهذا الأكل يتطلّب مجهوداً لا واعياً لإعادة إنتاجه من

جديد، فالإنتاح الجديد يَمَكِّن الإنسان من الوعي بذاته، وأنه شيء آخر مخالف للخارج، وإن دخل هذا الخارج فيه، إذ يمكنه أن يخرج من جديد، إن هو انتبه إلى كل ما يدور داخله ولم يغفل عن متابعة ضيوفه الذين قد يتحولون إلى سَكَّان مقيمين.

ففعّل التغوُّط إذا، يمكننا من فرصة ثمينة لتحسُّس ذاتنا ومعرفة حيويَّتها، فهو الفعل الغريزيّ الوحيد، الذي يمكننا من الإنفراد بأنفسنا، ويسهل علينا طرق باب الحلم والبناء، فالجالس في هذا المكان، يتصوّر نفسه جالسا على كرسيّ عرش الأرض، يأمر وينهى فيما يملك وفيما لا يملك، فيشعر لأول مرّة أنّه له إرادة يمكن أن تؤثر في الأشياء، وهذا الإحساس يعود الفضل فيه إلى ضيق هذا المكان، فالفضاء كلّما ضاق، كلما منح الإنسان فرصة حقيقية ليقف أمام نفسه ويواجهها، بعيدا عن كلّ الأفعنة الاختيارية والاجتماعية.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كما يجعله هذا المكان، يحسّ بفردّيته، فهو كالقبر، والقبور لا يسع إلّا صاحبه، لكن هذا الشعور بالفرديّة، ليس بوجهها الكتيب، بل بالعكس هي فرديّة صاحبة تضجّ بالحياة فكلّ ما حوله غارق في الصمت إلّا هو بداخله بركان كلام، كلام لم يعهد سماعه من قبل، فعندما ركّز النقاط على الداخل، سمع ما لم يتخيّل أن يسمعه يوما، فهناك حوار جميل داخله، لا يعرف من أطرافه، هل هم أعداء أم أصدقاء.

لكن هذا الحوار ذكّي داخله شعور بالعظمة، وأنه الرّجل الوحيد في هذا الكون، ممّا يمكنه هذا الأمر من الإستحواذ على كلّ النساء، كما صار يعتقد أنّ الدّنيا مقبلة عليه طوعا أو كرها، فكلّما فكّر في شيء حضر بين

يديه، فهو سيد العالم، لكن أي عالم؟
 وهل هناك عالم إلا العالم الذي اكتشفه، وكان مخفياً عليه بسبب حياته
 السابقة، التي لم تكن سوى مجرد موت بطيء، لأنها تقتله داخل دوامة
 الآخرين، وتطحنه مع بقية الملايين، فيتحول إلى مجرد رقم مدون في أحد
 السجلات، فما أشنع وأبشع هذه الأرقام، فهي مذلة ترزح تحتها
 الإنسانية، ولن تسترد هذه الإنسانية أنفاسها إلا بفعل التغوط!!!
 فهذا الفعل له وقع فعال على نفوس كل الناس، لكن من أين يأتي
 الإنسان بالوقت حتى يتمكن من تحقيق هذا المشروع، فكل الناس
 مستعجلون في الخارج يريدون قضاء حاجتهم والانصراف إلى حياتهم
 المميتة، فمن أين يأتون بالصبر وفي كل مكان جحافل تنتظر دورها، فمن
 مولد الإنسان والانتظار يلاحقه، فأمة تلده وهناك من ينتظر في بطن
 أخرى ليخرج مثله، فينتظره ليولد، حتى يدخل بعده ويأخذ مكانه،
 وهناك من ينتظره ليستقبله، وصفوف المنتظرين طويلة توصل هذا المولود
 سنّ الهرم، لتزفه إلى قبره، فينتظر من يدفنه، أجرة دفنه حتى يكاد الميت من
 الضجر أن يعود للحياة من جديد، إلا أنه يتذكر راتبها، فيفرغ على
 نفسه قليلا من الصبر ليرتاح من عذاب الانتظار.

فالانتظار أمام بابنا هذا، يكسب المكان شأنا عظيما في نظر الداخل
 إليه، فيعجب برأئته، والتي هي رائحة الإنسانية الحقيقية، فيكون
 استهلاك هذه الرائحة مباشرة، دون معالجة أو تغليف أو تزييف، فيقف
 الداخل مذهولا أمام نفاذ هذه الرائحة التي كان يتأفف منها، فيسارع
 بإنتاج ما يماثلها، فيترع ورقات التوت، لياشر عملا جديدا كان يستحي

منه فيما مضى، فيحسن الداخل الجديد بكلّ ما أحسن به صاحبه الذي قبله، وتتراحم المشاهد داخله تتراحم القنوات الفضائية في حياتنا، ويحسن لأوّل مرّة أنّه يمثّل الحيوانات شكلاً، ويختلف عنهم مضموناً، فمعنى الفعل عنده وعندهم متباين، ففعلنا مكنه من أن يحسن بذاته، في حين أن فعلهم لا يتعدّى أن يكون مجرد إفراغ لجملة من الفضلات.

وأثناء التغوّل يتولّد في النفس شعور خاصّ باللذّة، يشمل بوّابات المخارج، فتنتشي الأذان بأصوات الفرقعات والانزلاقات والانسيابات، ويتوقف الأنف عن الشمّ لنفاذ روائح هذه المنتوجات فيكون عرساً صاحباً للحواس، يخرج العامل عن حدّ العمل، إلى حدّ التشوّع والسّكر، ليكسر حواجز الزّمان، ويجد لنفسه ملجأ يقيه شرط الضبط والالتزام، وعدّ السّاعات والدقائق والثواني، فوقت الإنعاش صار يعبر بالأثمان، في حين أنّ الإنسان يباع بلا أثمان، لأنّه أصبح وسيلة لنفسه لا غاية لها، فشتان بين أن يكون المرء مالكا لنفسه، وبين أن يكون مملوكاً.

والتغوّل هو الكائن الوحيد المالك لنفسه ولوقته والمستمتع بفعله، فهو يشمّ إنتاجه ولا يسعى للمسّه، فلمس الشيء يفقده معناه، فكّم حلمنا بالقمر وجمال القمر، وعندما وصل الإنسان إلى القمر، اكتشف أنّه كوكب دميم، مليء بالتّوّعات والحفر، وهو بعيد كلّ البعد عن صور الجمال التي صاغها خيال البشرية، فصدمتنا وهالتنا الصّور، وقرّنا أن نشمّ ونحسّ ونحلم دون أن نلقي بأنفسنا في الخطر.

فالخطر الذي يتهدّدنا، هو أن تفرغ الأفعال من معانيها لأنّ قيمة بناءة ما إنّما يكمن في ساكنيها، فالمدرسة تستمدّ معانيها من التلاميذ، الذين

هم أثنائها الحقيقي وبدولهم تتحول المدرسة إلى بناية كغيرها من البنايات، فخطر إفراغ المدرسة من مريديها، يهدّد بقتلها، وخطر الإفراغ في الأشياء، يختلف عنه في الإنسان، لأن إفراغ الأشياء يكون بترع نسبتها إلى الإنسان، أمّا إفراغ الإنسان سيادته على الأشياء، فإنه يمنحها الوجود، بعد أن كادت تدخل بوابة العدم.

ف فعل التغوُّط إذا، يدخل في باب الملاء والإفراغ، فالوعاء الإنساني ممتلئ بعدة مواد لزجة وسائلة وحتى صلبة، والتخلّص منها لا يكون دفعة واحدة لأنّه لو حصل ذلك، فالإنسان سيفقد وزنه، ممّا يجعله يطير، وإذا طار فإنه لا يترك، على الأرض إلّا ثوبه، ونحن لا نريد أن نجازف بالطيران، حتّى لا نزاحم مخلوقات أخرى في فضائها، فنحن نطمح للتخلّص التدريجي من الأثقال، التي تجعل الإنسان مشدودا إلى نصفه الأسفل، بتخفيف دخول الأقوات، حتّى يتوقف فعل الهضم اللاواعي، والذي كان فيما مضى يحوّل لنا الإحساس بذواتنا.

2- من الحس إلى المعنى .

فالجوع يمكّننا من سكن ارقى في عمارة الوعي، فتجاوز بذلك فعل التغوُّط، الذي هو فعل ميكانيكي يكسب الإنسان لذة ونشوة ظرفيّة تزول بزوال المسبّب، وتنتهي بمغادرة المكان، رغم أنّها تمنح هذا الإنسان وعيا جنينيا، بأن تشعره بإنسانيته، من خلال فتح باب التفكير أمامه، ولولا الوعي بفعل التغوُّط وفهم آليّاته لما تمكّننا من تجاوزه إلى فعل ارقى ألا وهو فعل الجوع، الذي يمكّننا من تجاوز ماهو حسي، والابتعاد عن الأماكن التي يرتادها الجميع.

إذ يوفر لنا الجوع، الإطار المعنوي حتّى نفهم أنفسنا، فالجوع رغم أنّه إحساس إلّا أنّه يؤدّي نفس دور بيوت الخلاء، إذ يجعلنا نواجه أنفسنا، فالجائع يمكن أن يذهل عن حقيقة واحدة، وهي أنّه جائع، لكن بطول الأمد يتعوّد الجائع على هذه الحالة، وهذه الحالة تكسبه تعلّقاً بنفسه، واهتماماً بها دون سائر الأشياء المبعثرة في الخارج، فمن اختار طريق الجوع، فقد اختار طريق الانضباط الذي يمكنه من إقصاء كلّ العوائق الجزئية والعرضية ليصرف نظره إلى القضايا العظمى.

فالجوع ليس عقلا يمنع الإنسان عن شهواته الحيوانية كالأكل والتناسل فحسب، وإنّما هو تقيّد لهذه الشّهوات حتّى لا نفكّر فيها بامعان، فيمنعها قيدها من أن تتراقص أمامنا فتفقّدا توازننا في الحكم عليها، لنكتشف بعد أيام أنّ الجوع نزع كلّ رغبة حارة، وكلّ شهوة متطرّفة، ونقلنا إلى حالة أخرى لم نكن نعهدها وهي السّهر، فالسّهر هو أوّل ثمار الجوع، إذ منعنا من النوم، فأقض مضاجعنا، ليطول ليلنا، حتّى يتّصل بنهارنا، ثمّ ينهار هذا الاتصال ليصبح اللّيل نهارا والنهار ليلا، ولا شيء يمنع من قيام أعمال التّهار بالليل والعكس جائز أيضا، فكلّ الحواجز تصبح واهية، بل وهمية أمام أفكارنا الجديدة، التي أخرجها فعل الجوع والسّهر إلى أرض الإمكان وحيز الوجود، فالليل ينام فيه كلّ الناس لأنهم يخشون الوحدة ويخشون مواجهته، وفي مواجهة اللّيل مواجهة لأنفسهم منفردين، لذلك فإنّهم إذا أحيوه، فإنهم يحيونه في جماعات صاخبة، ويكثرون من اللّغو واللّهو في كلّ وقت وحين، في حين أنّ الجوعان السّهران، يقطف ثمرة ثانية وهي الإمساك عن الكلام، الذي هو هدر للطاقات، فلا يحفل بغيره

ولا يهتمّ به، وإن تكلم فلا يتكلم إلا مع نفسه، ومحصلة الكلام مع الذات يكون سؤالا محيراً، موجّه إليها، وهو ماذا تفعل لو واجهها الموت؟ خاصة أن الإنسان يتصور أن هذه الآفة بعيدة عنه، فيعتقد أن الحياة هي المسيطرة على الموت، خاصة أمام قلة أعداد الموتى مقارنة بالأحياء، في حين أن التأمل في الحياة يلحظ أنها مهددة في كلّ لحظة بزحف طوفان الموت عليها، فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يعيش بدواء النسيان وخاصة نسيان الموت، فلو داوم على تذكر الموت، لعرفت نفسه عن كلّ شيء إلا عن مقاومة آفة الموت، وبما أن الموت قانون عام يستغرق جميع الكائنات المتمتعة بصفة الحياة، فإن هذا الكائن الميت يندل محاولات عدّة، بأن يتعالى عن الموت، فيبني القصور ويكتب السطور، حتى لا يفنى ذكره ويصير قبراً بين القبور. أمّا من رسخت في أعماقه معاني الموت والفناء، فيسعى إلى إيجاد مخرج يقيه ألم تصور الموت، لأن المولم في الموت، ليس الموت ذاته، وإنما محاولة أن يتخيّل الإنسان نفسه في وضع الموت، حينها يدق ناقوس الخطر، فتستجمع الذات كلّ طاقاتها، لتتجاوز هذه المحنة، فتستيقظ الإرادة التي توقد من سراج الغريزة، المثبّثة بالحياة، في حين أن العقل يعجز عن فهم هذه الواقعة الجديدة، التي تفرض نفسها عليه، والذي كان دوماً يتشاغل عنها أو يقدم لها مسكّنات بسيطة، لم تعد تجدي نفعا في مثل هذا المستوى، كان يخاطب نفسه محاولاً مواسماتها، أن الموت لا يلحقها وحدها، وإنما هو مصير مشترك لكلّ البشر، فالاشتراك في المصير يخفّف بعض الشيء من وقع صدمة الموت، إلا أنّه في حقيقة الأمر من يموت هو الإنسان الفرد، ولا تدخل البشرية معه القبر، ولن تقاسمه معايشة

آلام الموت، وما كتبه الفلاسفة والشعراء ورجال الدين، يتحطّم على صخرة معايشة تجربة الموت، فتلقي النفس بكلّ هذه الأقوال والآراء والتمثّلات وراء ظهرها، وتسعى إلى إيجاد حلّ يطمئنّها قبل أن يقنعها، لكن آتّى لها بمثل هذا الحلّ، ومن سيقدّم لها مثل هذا الدّواء.

وفي الختام يمكننا القول، أن الوقوف أمام فاجعة الموت ، يشكّل منعرجا حاسما أمام الذات عامة، وأمام كلّ ذات تطالع هذا المقال على وجه الخصوص، فما كان قبل هذه النقطة يحتمل أن يتذوقه الملحد والمؤمن على حدّ سواء، لأنّه يتحرك ضمن دائرة الإمكان العقلي، أما القسم الذي سيأتي بعد مسألة الموت، فيشكل قطعة أساسية ستفصل بين من سيرحل إلى أفق أرحب، وبين من ستوقف به مسيرة الوعي، عند حدود التحطّم على صخرة الموت، لأنّه يرى أن ما بعد الموت ليس إلّا عبثا لا يستسيغه العقل.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

والحقيقة أنّ العقل عاجز عن ولوج هذه العوالم الرحبة، لأن ملكاته تقوم على التحليل والتركيب والاستنتاج، التي يزودها بها عالم الكون والفساد، وحقائق ما بعد الموت ليس لها مكان في البنية المنطقية للعقل، لأن العقل يتحرك ضمن مجال محدود لا يستطيع تجاوزه، وهو مجال الإمكان والحكمة القائمة في عمقها على فكرة السببية والمرتبطة أساسا بالمعطى الحسي.

فما هي المجالات التي تفتحها التجربة الإيمانية أمام الذات ؟ .

* نشرت له ثلاث كتب وهي : تصوف الخارث الخاسي (2005) حفيقة الموت عند الصوفية (2007) ظهور الروح (2008) .



"سارة" العقاد في :

ميزان الرواية

بقلم : محمد حجاج

يمثل "عباس محمود العقاد" بما قدمه من مؤلفات ذات قيمة باقية، قمة شائعة في عالم الفكر العربي والإسلامي، وتتنوع كتابات ذلك المفكر الموسوعي لتشمل: العقيدة والدين، الفلسفة، السياسة، الاجتماع، اللغة، الأدب، النقد، الشعر، الرواية، القصة القصيرة، التراجم، والسيرة الذاتية.

وفي مجال الإبداع الأدبي، يظهر العقاد كصوت شعري متميز ومحدد، كتب عددا كبيرا من الدواوين، وعددا من القصائد العظيمة، بل إن العقاد يعد بلا مراء من كبار نقاد الشعر، ويأتي كتابه "الديوان في الأدب والنقد" بالمشاركة مع رفيق كفاحه في مجال الأدب "إبراهيم عبد القادر المازني" في مقدمة الأعمال الإبداعية النقدية الحديثة، سواء من حيث السبق التاريخي أو القيمة الفنية، فقد صدر في أول عشرينيات القرن العشرين، وأحدث روبا هائلا في الحياة الفكرية في مصر في ذلك الحين، بما قدمه من نقد جمع بين النظر والتطبيق لا يقل عما كان يبدعه أعلام النقد الغربي آنذاك: إليوت وريتشاردز وكولدرج، وكانت المحصلة أن كتاب "الديوان" استطاع أن يرسي عددا من الأصول النقدية ذات الأهمية البالغة في الساحة الأدبية والفكرية في مصر، بالتالي في

الوطن العربى.

وبالرغم من غزارة إنتاجه فى مجال الشعر، والذي بلغ أحد عشر ديوانا، فإن العقاد لم يقدم للمكتبة العربية، إلا عملا روائيا واحدا، هو يتيمته "سارة"، وهى تجربة ذاتية نفسية بدأ كتابتها بناء على اقتراح بالكتابة فى مثل موضوع الرواية تلقاه من مجلة "الدنيا" إحدى مجلات دار الهلال، وبدأ نشرها بالفعل على هيئة فصول فى هذه المجلة، ثم أعيد طبعها فى كتاب مستقل أكثر من مرة بعد ذلك.

تدور أحداث الرواية فى ثلاثينيات القرن العشرين، وفى عاصمة مصر، بين "سارة" و"همام"، ومشاركة عدد محدود من الشخصيات: أمين، هند، ماريانا، والملاحظ بالنسبة لرسم هذه الشخصيات، إنه ليس من بينها من هو متحول أو متطور أو نامى، كما هو متوقع من شخصيات الرواية عادة، وإن الكاتب قد ركز بالدراسة والعرض والتحليل على الشخصية عنوان الرواية فقط.

تبدأ لحظة تفجير الحدث فى الرواية بذلك اللقاء، الذى وقع عن طريق المصادفة بين "همام" و"سارة" فى بيت "ماريانا"، وسارة حالثد امرأة فى ريعان الشباب، جسد حى وروح دفاقة، جميلة لبقة متقلبة، تبدو مثقفة أحيانا، وهمام رجل فى العقد الرابع من العمر، عقل فنى، فيلسوف ومفكر، معتد بنفسه وبقيمته التى حققها فى مجتمعه، ويدور بين الاثنين حوار شيق ممتع وكاشف، وتقرر سارة على إثر ذلك اللقاء أن تدخل حياة همام، فتبدأ بينهما علاقة بين رجل وامرأة، وهى "سارة" تمارسها

حبا على غمطها الخاص، وكان من الممكن أن ينتهي الأمر عند ذلك الحد، لولا أن همّام أرادها حبا حقيقيا وفق المفهوم العام لكلمة الحب، ومن هنا ومن خلال المفارقة بين المفهومين، والفرق في الهدف من التجربة بين البطلين يحدث الخلل، ويبدأ الشك في التسرب إلى ساحة العلاقة بين الحبيبين.

أحسّ "همّام" أن سارة كحبيبة ليست خالصة له وأنها بما نخونه مع شخص ثالث، وبدأت مظاهر التوتر والاضطراب والمقاطعة تتسلل إلى تشكيل نوع العلاقة بينهما، وفي غمرة قلقه وخبرته إزاء ذلك الموقف يأتي همّام بتصرّف يدعو إلى الإشفاق، ويتمثل ذلك في تلك الرسالة المطولة التي كتبها إليها، متوهما أنه في مقدوره بسحر بيانه وقوة منطقته وبلاغة عظاته، أن يعيد "سارة" خالصة إليه، متجاهلا أنها لا تكثر بكل ذلك، ومتناسيا أن لسارة رؤية خاصة في العظات والواعظين.

ويتماهى "همّام"، وكان الخطأ يدفع إلى خطأ آخر، ويأتي بتصرف جديد، يبعث على الدهشة هذه المرة، ونعني به تلك الرقابة التي حاول أن يفرضها على سارة والتي وجد من يزينها له ويعينه على تنفيذها، وهي رقابة شاملة على جميع تحركاتها، في الشوارع ودور السينما ومركبات الترام، وفي أي مكان أو منزل تسعى إليه، بل وفي منزلها ذاته أيضا.

كان على همّام أن يستعيد في ذاكرته، ذلك الأسلوب الذي دلفت به "سارة" على قلب حياته، ويسترجع كلماتها معه، بل واعتراقاتها

الصريحة له، من أجل أن يكف تماماً عن البحث عن الحب الحقيقي الذي يريده بين أعطاف هذه الغانية، وربما كان الأجدى بالنسبة له أن يبحث عنه في مظانه الحقيقية والتي كانت متاحة له، عند حبيبته الأولى "هند".

وإذا ما ألقينا نظرة شاملة على فصول الرواية، فإننا نلاحظ أنها تعاني من فقر في الأحداث، وبدلاً من أن يتجه الكاتب إلى تجسيد الأفكار وتحويلها إلى شخصيات ومواقف، ثم يقوم بتفجير هذه المواقف وتوظيف ذلك فيما يحزم عمله الفني، فإنه يلجأ ودون سبب واضح إلى إجراء معاكس تماماً، فهو يتجه على اختزال التفاصيل التي لا بد منها لتوليد وتطوير الأحداث، بل ويعتمد في كثير من الأحيان إلى التحرير والتعميم، مما أدى إلى زيادة فقر الأحداث، مما دفعه من ناحية أخرى إلى حشو الرواية بكوم من الفقرات والصفحات المطولة بل والمقالات التحليلية التي لا مكان في العمل الروائي، عن الحب والغيرة والشك والصداقة والنفاق، مما يشكل عبثاً فادحاً على الرواية من ناحية الشكل والمضمون، وبما يخرج بها عن دائرة الرواية التحليلية ويدخل بها إلى دائرة أخرى هي دائرة التحليل الروائي.

الغموض والكتابات السردية

بقلم : عبد الحميد المنتصر

تمهيد :

الغموض هو عكس الوضوح. يكون النص غامضاً عندما يعجز القارئ عن تفكيك الرسالة التي أراد الكاتب أن يوصلها إلى قارئ مفترض.

إذا جزمنا أن العلاقة بين المنتج والمستهلك أو بين الباحث والمتقبل يجب أن تكون علاقة وصل لا علاقة فصل فعلى الأول أن يجد في اختيار الأنسب وعلى الثاني أن يتسلح بما به يستطيع أن يلهم بما صدر عن النص من أفكار.

لسائل أن يسأل هل يمكن للناقد من جهة أو للقارئ العادي من جهة أخرى أن يتساهل أو أن يقبل أن تحتوي القصة أو الرواية على مساحة مهمة من الغموض؟

مظاهر الغموض :

يمكن أن يطال الغموض النص كاملاً أو جزءاً منه. فقد يحتوي على معجم قلم زال استعماله منذ عقود. قد يكون البناء النصي فيه من التعقيد، إلى درجة أن القارئ يجهد نفسه دون الوصول إلى أي فكرة فيشعر وقتها أن العلاقة أضحت مبتورة بينه وبين النص.

كما يمكن أن يطلع القارئ على نص يحتوي على تراكيب مبسطة

واضحة المعالم لكن في النهاية يبقى الإبهام هو السمة الطاغية على النص.

القصة والرواية ومستوى النص:

الكتابة المتاحة:

القصة شأنها شأن الرواية هي وسيلة إمتاع وإفادة لذلك ترى الكاتب يحاول استعمال تقنيات هي في تطور دائم من أجل مسك القارئ في عالم أصبح يعرف اليوم بعالم الصورة هاته الأخيرة التي كادت تجلب الجميع إلى صفها.

لذلك اعتمد القصاصون والروائيون الإدهاش وذلك بإدخال فن الواقعية السحرية الذي يعتبر فتحاً في الرواية الجديدة. لكن الفكرة لا يمكن أن تصل دون استعمال لغة مبسطة مفهومة حتى من القارئ العادي.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لكن لا يذهب بنا الظن إلى استعمال لغة فجة قد تنفر أكثر من أن تجلب .

وإذا نظرنا في المدونة الروائية الهامة للاحظنا أن هؤلاء العباقرة أنتجوا ما عندهم باستعمال أسلوب لا يطرح أي إشكال على مستوى الفهم وبطبيعة الحال على مستوى التواصل ولنذكر هنا: موسم الهجرة إلى الشمال (الطيب صالح) الثلاثية (نجيب محفوظ) عمارة يعقوبيان (علاء الأسواني) دار الباشا (حسن نصر).

لكن أين يكمن السر ؟

إنهم يستعملون كتابات ذات أسلوب جميل على بساطته لكنهم يذهبون إلى عمق الأشياء. وهذا ما يطلق عليه (بالسهل الممتنع).
فهؤلاء الكتاب الكبار لا يميلون إلى إجهاد أنفسهم من أجل تقديم روايات هي إلى التعقيد والإبهام أقرب. الطلاسم والتهويمات قد لا تنتج كتابا.

يقول محمد ساري: "وكبر المفاجأة هو التمكن الواضح من تقنيات السرد الروائي... دون أن يقع في التعقيد المبهم" (1).

كما يذهب هذا المذهب الدكتور علاء الأسواني في أحد حواراته إذ يقول "يجب أن تكون الكتابة متاحة للقارئ العادي. الكتابة المغلقة التي تبعدنا في الأدب الفرنسي لا تحترم القارئ".

لماذا الهروب من الغموض؟

يميل عدّة كتاب إلى اتباع مسالك في الإبداع واضحة المعالم قابلة للفهم دون عناء لأن عكس ذلك لا يصل الخطاب إلى القلب إلا بعد إتعاب الفكر وكذّ الخاطر إذا ظفر بالمعنى بعد عناء ومشقة.

ومن القدم مسألة البيان كانت همّ عديد النقاد والمفكرين وقد نقل الدكتور محمد الحافظ الروسي عن العسكري قوله "إذا خرج (الكلام) في غير تكلف وكذّ وشدة تفكر سلسا سهلا كان له ماء ورواء" (2).

الكتابة المغلقة :

لكن مقابل هذا نجد من يمارس الكتابة السورالية أمثال موريس بلانشو M.Blancho وبريتون Breton وهذا النوع من الممارسة تطفئ

عليه ظاهرة التعقيد إلى درجة أن القارئ يجد نفسه عاجزا على فهم الرسالة التي أراد الكاتب أن يوصلها فهي تضعه أمام الإلغاز واللامنطق وتداخل الأحداث بصورة غريبة. كيف لا وهي كتابة (الارادية) لا تريد أن يتسلط الفكر على إبداع الكاتب فيكون له بمثابة العقبة أمام الكتابة المتدفقة طبيعيا دون حواجز مهما كانت يقول أدونيس: "هذه الكتابة (الكتابة السورالية) تبدو غالبا مليئة بالغرابة، والتناقضات، والغموض وتفكك الصور، مما يجعلها عصية على الفهم" (3).

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن بعض الكتاب يتحمسون إلى إنتاج نصوص يتطلب فهمها شيئا من الجهد قد لا يصل الأمر إلى حد الإهمام لكن ربما تكون داعية إلى البحث والتأويل وهي تخالف هنا الكتابة العلمية التي من صفتها الأساسية الوضوح.

يحيلنا المنصف الجزار إلى ما قاله إمبرتو إيكو A.Ico في موقفه من الكتابة الروائية "أنا عندما أنوي كتابة رواية فذلك لأنني أريد أن أعرض شيئا غامضا وتناقضيا من خلال هذا الشكل الفني المعروف وإلا كتبت كتابا في التنظير والبحث العلمي" (4).

نماذج :

والمتتبع للمدونة السردية التونسية قصة أو رواية قد تعترضه نصوص ليس من السهل القبض على ما أرادت البوح به وقد تكون العلاقة بين الكاتب والقارئ علاقة انفصال لا علاقة اتصال لأن الرسالة لم تصل ولكن المبدع يبقى دائما سيد نصه .

في رواية "شمس القراميد" نقرأ ما يلي:
 "تركته يهذي في الظلام كما يهذي ذكر الإوز تحت الشمس وقلت في نفسي "تعبت" قال:

- إلى أين أنت ذاهب ؟

أجبت مترددا :

- وعدت أخي بتسليق القناطر

قال مبتسما :

- تأكل برتقالة فتقول إنك صرت برتقالة" (5).

وفي المجموعة القصصية "عاصفة النسيان" تبدأ قصة التماسيح بماته
 الفقرة :

"حجر ميثوث حواجز وأرض تدحّث وارتفعت، بحزن جلدها متى ترقى
 العين فيه، أو تسهل فتتزلزل أنحاديها، فهي كأنها الشاة السديس. دخنة
 وعشاء..." (6).

الخاتمة :

التعقيد والإهمام قد ينفرا القارئ وقد يجعلان الرسالة التي من أجلها
 كتبت القصة أو الرواية لا تصل. والأديب لابد أن يكون حامل فكرة،
 والفن للفن هي كذبة قد لا تستهوي الكثيرين. والوضوح لا يعني
 الإسفاف والابتذال أو ما يمكن أن نطلق عليه كتابة العوام.

النص الأدبي الحق سمفونية عميقة الإيقاع تنحدر رأساً إلى القلب دون
 عناء. وقد قال الدكتور محمد يوسف نجم "الحك الحقيقي لعظمة القصة

أو لخلود أي أثر أدبي ... هو مدى اتصاله بالحقائق التي تجعل الحياة أكثر عمقا وأوسع شمولاً" (7).

الإحالات :

- 1- محمد ساري (جامعة تزي وزو) عالم محمود طرشونة الروائي والقصصي مع من الباحثين الجامعيين دار الخدمات العامة للنشر تونس 1998 ص 99.
- 2- محمد الحافظ الروسي عالم الفكر ص 260-1994.
- 3- أدونيس الصوفية والسوريالية- دار الساقي ط1-1992-ص 137.
- 4- منتصف الخزار عالم محمود طرشونة الروائي والقصصي مع من الباحثين الجامعيين دار الخدمات العامة للنشر تونس 1998-ص 152.
- 5- محمد علي اليوسفي شمس القراميد دار الجنوب تونس 1997 ص 49.
- 6- ناجي الفرشيشي عاصفة النسيان منشورات قصص 2006-ص 27.
- 7- الدكتور محمد يوسف نجم فن القصة دار الثقافة بيروت 1979-ص 64.

ARCHIVE

رحلة شيقة متمعة دون عناء السفر ومشقة التنقل بين بلدان الوطن العربي، حولة معلوماتية معرفية مفيدة لها مرجعياتها الخالدة في التاريخ الثقافي في عالمنا العربي، كانت تلك الرحلة في دفتي كتاب (مقاهي الأدباء في الوطن العربي) للأديب التونسي رشيد الذواودي قدم له أديب نوبل الكبير نجيب محفوظ واعتبر الكتاب "دليلا على توجهه العربي، وحرصه على دراسة الجديد والمفيد من الموضوعات".

بطالعنا الأديب رشيد الذواودي باهتمامه بإبراز نضالات رجال عشقوا الأدب فأقاموا له المقاهي لتكون إشعاعا لفكرهم وآدابهم، وفي ذات الوقت تؤدي دور الموصل والتربيط بين الأجيال كما يقدم الكتاب الرّاد المعرفي الهام موضوعا دور المقاهي والصّالوات والمستديبات في نشوء الخلق والإبداع حيث تناقش كل القضايا الثقافية..

رشيد الذواودي وكتاب "مقاهي الأدباء في الوطن العربي

بقلم : جمعة محمد جمعة : الإتحاف : 172 ص 59

العلاقة بالآخر ونشأة علم الاجتماع بالمغرب العربي

بقلم : د. عماد بن صولة

لا شك أن التفكير الاجتماعي قد سبق تأسيس علم الاجتماع نفسه إذ كان جزءا من الممارسة المعرفية لاسيما في شكلها الفلسفي . ويرز أفلاطون وأرسطو وابن خلدون ومونتاسكيو وسان سيمون ورسو وبرودون كأهم المفكرين الذين ساهموا في صياغة تاريخ لعلم الاجتماع قبل أن ينفصل هذا الأخير عن سائر الأشكال المعرفية الأخرى ويستقل بنفسه كعلم متميز في القرن التاسع عشر .

— إشكالية التراث الخلدوني :

ورغم أن التراث السوسيولوجي يمثل سلسلة متصلة فإن العرب كثيرا ما يقفون عند إحدي حلقاتها وهي تلك التي يمثلها ابن خلدون في محاولة لإثبات سبق العرب في تأسيس هذا العلم ، أو على الأقل جدارتهم بتأصيله نظريا طالما أن ممارسته ليست غريبة عنهم . وبصرف النظر عن طبيعة صلة علم العمران الخلدوني بعلم الاجتماع والتي اجتهد محمد عابد الجابري في تحديدها ضمن كتابه " العصبية والدولة" فإن هذا الموقف يحمل شحنة أيديولوجية أكثر منها علمية نقدية إذ أن ابن خلدون ظل لقرون نسيا منسيا لدى العرب ، فرغم انتشار مقدمته

بينهم فإنهم لم يدركوا شيئا من قيمته إلا في بداية هذا القرن وبصورة خاصة بعد الحرب العالمية الأولى حينما أصدر طه حسين كتابه " فلسفة ابن خلدون الاجتماعية " (1) ويبدو أن ذلك قد حدث تحت تأثير اكتشاف الغربي لفكر ابن خلدون في سياق البحث في التاريخ العام لسوسيولوجيا الحضارات ، ففي إطار محاورة الآخر (الغرب الأوروبي) أعيد النظر في هذا المرجع بعد نفوذ الغبار عنه ، فقرأ من جديد في ضوء مكتسبات العلوم الإنسانية والاجتماعية الناشئة ، وتحت وطأة الشعور بصدمة الحداثة . ولما كانت هذه المحاورة حضارية معقدة فقد كان الاهتمام به ، وإن بدا ثقافيا وعلميا ، فإنه ينطوي على أبعاد نفسية وإيديولوجية دفيئة .

وكما يلاحظ أن كون " أصبح ابن خلدون بل مقدمة ابن خلدون بصفة خاصة سلاما . إيديولوجيا أكثر منه // موضوعيا تاريخيا فكريا للتعرف على حقيقة الحركة الفكرية في المجتمع الغربي " (2) بحيث سرنا نواجه إشكالية خلدونية من الطراز الأول (3) .

ومهما يكن من أمر فإن علاقة العرب بعلم الاجتماع حتى من خلال ابن خلدون تدرج في سياق التفاعل مع الفكر الغربي إذ لا ننسى أن استخدام المناهج الحديثة بوجه عام كان قد دشن مع عصر النهضة . لكن هذا المسار الفكري والثقافي لم يكن ذا طابع نظري على نحو مثالي إذ أنه كان يستند أساسا إلى معطيات موضوعية دقيقة جديدة فرضها التدخل الاستعماري في العالم العربي .

- سوسيولوجيا الحقبة الاستعمارية:

إذ سلمنا بأن نشأة السوسيوولوجيا في المغرب العربي مرتبطة بخضوعه لهيمنة الاستعمار ، فإن التأريخ لها عملية لا تخلو من المشاكل نظرا لصعوبة تحديد المجال الذي تعطيه الدراسات السوسيوولوجية بما يجعلها تفتح علموما إنسانية مثل الأنثروبولوجيا والأنتولوجيا والعلوم السياسية والتاريخ الاجتماعي ، وهو ما يتجلى في أولى الدراسات التي أجريت على المغرب العربي حيث أُنما تخرج عن إطار السوسيوولوجيا بمفهومها الدوركامي المعروف ، ونشير هنا على سبيل الذكر إلى كتاب مولى راسـ المغرب المجهول " سنة 1895 وأعمال - دوتي مثل "مراكش" و " في القبيلة " - " الإسلام الجزائري " .

كانت هذه الدراسات تجري تحت إشراف الإدارة الاستعمارية ولباعاز منها في كثير من الأحيان ، بل إن بعض الضباط اتخذوا بأنفسهم للقيام بأبحاث انتوغرافية ، ونظرا لهذه الخلفية السياسية كانت تلك الأعمال كما يصفها دايل أيكلمان عبارة عن تقارير بوليسية هدفها التقصي والرقابة لمواجهة كل خطر محتمل يصدر عن هذه أو تلك من الجماعات أو القطاعات أو الهياكل الاجتماعية (4) فدوتي مثلا في خاتمة كتابه ((لإسلام الجزائري " في سنة 1900 وبعد عرض واقع الطرق الصوفية يدعو صراحة إلى استغلال المعطيات التي وفرتها دراسته في سياسة الإدارة الاستعمارية للأهالي (5) .

ثم تزايدت الاهتمامات السوسيوولوجية والانتروبولوجية بالمغرب العربي فتأسست البعثة العلمية " في طنجة بالمغرب الأقصى فجر هذا القرن والتي أصدرت " المخطوطات المغربية " ثم ظهرت " مجلة العالم

الإسلامي سنة 1906 وكان "لـ" "بيلز" دور كبير في الدفع بهذه الدراسات . ويمكن اعتباره " المخطط الأول لمسيرة السوسيولوجيا الكولونيالية" وقد كان يرى أنه من الواجب على السوسيولوجيا أن تنقسم إلى ثلاثة حقول : سوسيولوجيا المخزن ، السوسيولوجيا الإسلامية ، السوسيولوجيا المغربية (6) .

أما عن الخلفية النظرية لأكثر الأعمال فتقوم على اعتبار تلك المجتمعات في وضع ثابت جامد ، فالمغرب العربي بالنسبة إلى مونتاني وقوتيا ومونيا على سبيل المثال يبدو كأنه ما قبل التاريخ كما لاحظ جاك بيرك في قراءته النقدية (7) .

من هنا جاء تمسك الأخصائيين الكولونيين بمفهوم العقلية البدائية لـ " لفي برويل" لكي يسوغوا نظريا فرضيتهم التي ترى بأن الديانة الإسلامية تفرض على أفراد المجتمع سلطة قوية الشيء الذي جعل، مثلا ، عقول المغاربة ، بصورة جماعية ، محشوة بعدد من الصور الثابتة التي لا تقبل أي تبديل أو تحوير (8) . يعني ذلك أن هذه المجتمعات بطبيعتها غير قادرة على التطور الذاتي بما يشرع انتصاب الاستعمار فيها ما دام سيدمجها في حركة التاريخ والحضارة .

وهكذا تبدو الممارسة السوسيولوجية في بدايتها انذاك كجزء من نشاط الإدارة الكولونيالية وكوسيلة معرفية حاجسها تكريس اليات الإخضاع السياسي ، وهو ما يبرز طابعها الإيديولوجي " الفج " ويفسر الاهتمام بموضوعات محددة كالقبيلة والتقابل بين العرب والبربر والطرق والزوايا قبل أن ينصب التركيز في مرحلة متأخرة (أواخر الاستعمار)

على ترصد التغيرات التي طرأت على الهياكل الاجتماعية التقليدية كالعائلة والقبيلة وعلى الترتب الاجتماعي مثلما تشير إلى ذلك دراسة مونتاني حول البيوليتاريا المغربية باعتبار بروزها يعد أحد مظاهر التشكل الطبقي الحديث الذي أفرزه التدخل الإستعماري .

إننا في هذه المرحلة إزاء سوسيولوجيا مغربية لكن ممارستها لم تكن تحمل تلك الصفة إلا من حيث الموضوع ، إذ أن الباحثين هم من الفرنسيين أساسا قبل أن يلتحق بهم نظراؤهم البريطانيون في وقت متأخر نسبيا فهي بالأحرى سوسيولوجيا حول المغرب العربي .

-- من التبعة إلى النقد :

ومهما يكن من أمر فإن تلك الدراسات ألفت تراثا حقيقيا لا يستهان به ليس فقط من جهة ما وفرت من معطيات ميدانية لا شك في ثرائها ، وإنما أيضا من جهة التماذج النظرية التي ارتبطت بها وإن كانت ذات أهمية أقل ، ونذكر هنا الانقسامية التي مثلت إطارا نظريا بارزا في مقارنة مجتمعات المغرب العربي .

هذا التراث بخلفيته الإيديولوجية كان مثيرا لتفكير المغاربة . وقد هيأت محاورته المناخ النفسي والثقافي لممارسة علم الاجتماع من قبل الباحثين المغاربة أنفسهم ولعل ذلك من الأسباب التي تفسر نشأة علم الاجتماع في المغرب العربي قبل جل المناطق والمجتمعات العربية الأخرى. بيد أن التفاعل مع الثقافة الغربية في ساحة هذا العلم الناشئ لم يكن يعني القطيعة والمجاهمة ، بل على العكس من ذلك تماما ، فقد جاءت ممارسة علم الاجتماع من قبل الباحثين المغاربة مندمجة في النسق النظري

والمنهجي للدراسات التي كان قدمها نظراؤهم الفرنسيون والأнгولوساكسونيون ، بحيث لم تقطع مع التقاليد المعرفية السائدة في هذا المجال ولا أدل على ذلك من سيطرة المدارس الفكرية الغربية . ورغم أن هذا التأثير هو جزء من ظاهرة عامة فإن علم الاجتماع بالذات نظرا لحدائته في الوطن العربي كان تأثره أكثر قوة (9) حيث انتشرت المدرسة الوظيفية التي كانت مهيمنة على الأدبيات السوسيولوجية في أوروبا والولايات المتحدة . وهكذا فإن علم الاجتماع في المغرب العربي يندرج في صميم العلاقة بالآخر الغربي باعتباره يمثل المرجعية الأساسية إن لم تكن الوحيدة لهذا العلم .

ولئن كانت تصفية الاستعمار قد وضعت هذه العلاقة ضمن إطار جديد أخذ فيه الباحثون المغاربة يزمام الأمور في ممارسة البحث حول مجتمعاتهم فإن ذلك لم يود إلى مغربة علم الاجتماع إذ أن الطابع العربي للبحث كما يقول بوحدية " لا يتحدد بالموضوع ولا في اللغة المستعملة ولا في جنسية الباحث وإنما في نوعية صلته بمجتمعه ومدى تدرجه في فهم تلك العلاقة العضوية التي تجعل المجتمع يؤول إلى تنظيم ويوحى بمفاهيم عملياته " (10) .

لقد كان الأهم الأكبر للمشتغلين بعلم الاجتماع فجر الاستقلال هو إفتكاك مكان له في الدوائر الأكاديمية ، ولا شك أنهم نجحوا في ذلك ، فقد حسم أمر إثبات الوجود لعلم الاجتماع في الجامعات المغربية بل صارت له مراكز دراسات وأبحاث . لكن هذا الوجود ظل باهتا ، محدود التأثير في المجتمع .

- 5 - عبد الصمد الدبالي : ملامح تطور السوسولوجيا في المغرب ، ضمن كتاب : نحو علم اجتماع عربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت - لبنان الطبعة الأولى .
- 6 - دابل ايكلمان : مرجع مذكور ، ص 35 .
- 7 - حيدر إبراهيم علي : علم الاجتماع والصراع الأيديولوجي في المجتمع العربي ، مجلة المستقبل العربي العدد 78 السنة 8 ، (أغسطس) 1985 ص 14 .
- 8 - عبد الوهاب بوحديبة : لأفهم : فصول عن المجتمع والدين ، الدار التونسية للنشر 1992 ص 19 .

تعامل المصلحين التونسيين ورجال الحركة التحريرية مع شخصية التونسي:

لقد صدرتنا البحث بإلمامة قرنا فيها العقل الغربي الحي النامي المتحدّد المقمّم بالأستلة والأحوبة التاريخية السائس لأكبر حضارة معاصرة والعقل العربي سجين المقولات المكرورة اللاتاريخية السطحية العقيمة ثمّا أهله ليكون تابعا هامشيا في ركب حضارة منهكة عاجزة مقهورة خالصة إلى منهجنا "الحديد" في الكتابة الذي همّ دراسة نحن/ مجتمعاتنا العربية من حيث النيات النفسية والذهنية ومقوماتها المشكّلة عبر الزمان علّنا تبيين الخلل البنيوي الذي أرسى دعائمه تاريخ طويل من الاستبداد السياسي والتعسف والظلم والقهر والجهل والحقاري وبحق إنسانية الإنسان إذ تبيّنه (الخلل البنيوي) بعدّ المرحلة الأساس من مراحل العلاج نجعل الشعب يعي أن مكبلاته النفسية والاجتماعية والسياسية ليست قدرا محتوما وأنّ تفكيكها وتكسيروها وتفجيرها اسهل مما كان يتصور فيتحرر من العقد ثمّ من الظلم ثمّ من الجهل ثمّ من الآخر ثمّ ينخرط في ركب الإنسانية الحقّة ...

شخصية التونسي خلال القرون الخمسة الأخيرة

دراسة مستخلصة من بحث " شخصية التونسي : محصول الجغرافيا والتاريخ

بقلم : د . الضاوي خوالدية

الإتحاف : 172 / ديسمبر 2006 ص 6

تغريبات

شعر : صالح الطرابلسي

قال قاييل :

"شب الزمان بنا وثنا

وأغصان ... ،

في عمرنا هزمت ! ،

فنهاوى ،،

ARCHIVE
أوراق خريف، قبعرها

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الرياح !

والضفاف ...

الضفاف شعاب توذي ،،

إلى ...

مناهاات قد اتسعت ،

والعشاق، كل يبحث عن طريق ،،

كي بنوه ! ...

والدنروب ...

الدنروب كلها ...

لا منافذ ...

إلا إلى ماء، خال الماء عن

بعد، ولكن ...

واحد هو الموت فينا ،

لا خيار "ARCHIVE

a.com

قال حمام الداني :

" ماذا ،

لونسشعر النور الذي ،

قد خبا

في الشموع، فما

أضاءت ،

لنا الذئب ! ...

.....

خافنا الذئب ،،،

إليها ...

فضاعت لكي يغتصبها ،

الغريب ...

عند الغروب، ليغرم

في غمرها توخسها،
ARCHIVE

<http://Archive-beta.Sekhrit.com>
فتسغيث ... تسغيث ...

ولا من مجيب !"

*** **

قال هايدل

"لم يا أخي ...

على بعضنا تقسو،

فتقسو نائبات الذهب

علينا ؟!

لهذه النار التي ،

لحرق ما نزرع ؟!

لهذا الدمار الذي ،

يهدم ما يتنا ؟! أفاشفع ! ...

نطفة هذا الثرى خن !،

والثرى منا ،

ما ذا ...
ARCHIVE
لومعة الأيدي للأيدي <http://www.archiveit.com>

نشئ حلقة الود ،

كي نعيد للكون ...

خلقه الأول فيضا ...

من سلام ،

ثم نظير بأجوائه ، لكي

نبني الحياة ...

صلاحة بالهديل !"

*** **

آدم...

هاتقا، صاح:

"كبدني،

لا تحرقا الكبدنا،

وهلما نسنسني ..

شرب الأرض روحا...

تذوب، <http://Archive.hn.Sakhrit.com>

بأزرقها مزنا ...

على الشرى ...

يهطل ماؤه بلا برد،

ونفس الأرض ...

ببيض من عزيمنا ...

جناتنا التي كنا

لها فوعد!"

*** *** ***

حواء... ..

من ضلع آدم...

للتوفيق قد خرجت كما ،

في أول الدنيا، فقالت:

”ہا آدم، ہا...“

فقا حة الجنة!، إني ففثر

منذ خطبتي الأولى،

أن أضع...

من ضوعها في الأرض نفحة...

من الآمال ! ...

طوبى

دمعة الأحرار عن وجنات ...

أَقْصَرْتُ مِنْ خَيْلَاتِ

الفرح !

ومن فئات صديري ...

سأزرع الأحلام في ...

أزرق السعاعات ،

بالأعين الحيرى ، مجنحة ،

في قوس قزح . "

*** **

قال هايل وقايل معا :

"سندبر هذا الليل فينا ،

ما اقتشع .

ماذا

لو نزرع النجم ...

فيه ساطعة ،

كي نمر إلى فجر ...

شمس ،

من نار محبنا ،
نارها تستمدنا !
والكون كله ،
في شعاعها يستنمنا !
وعودك ، أمانا في ،
حكمة الضوء تنمو ...
لنستند أغصاننا ...

في المدي بأسماء
ARCHIVE
<http://Anchire.net/Sakhrit.com>
فيسندنا !

*** **

قالت الأرض ...
لحتمي بزفها للفصول :
" هذي أنا ...
ممدلاً من القطب إلى القطب :
قريته ...

ترفل في سناجرها

اللائق ..

ما. فراثا ! فامشوا

في مناكها ...

واشربوا اخر فعالمها ...

مقدسة !

أنا مرحم لكم، يوما ...

سأحلكم ..
ARCHIVE

وانتم لي الروح تنفع .
<http://ArchiveLibraSocrit.com>

رياح الحصب في جسدي .. !

فانشروا ،

في فضاء أجوائي غما ..

يهطل بالخراج ،

لكم فينا ،

فأملئ بالحياة ،

لنمثلوا ...
أنا المنع والمأوى
الأخير،،
يا بني ثراي،
فاعتبروا 1
لا تهنأوا

صحي بعدكم

وإن عن لكم
ARCHIVE

<http://Archive.bethlehemchrit.com>

فأني ...
إن ثار بر كاني،
لا أكرع ندما ...
وأعندنا !"

*** **

قال الشاعر :

"هذي شخوصي ..."

لَبْسُهَا

من وهي أضغاثا ،

في طقوس القصيد !

فأنا المعنوة، أروي لكم

بعضاً من خرافاتی،،

ہی فیض من سراب احلام

صاغيا

ARCHIVE

کابوس لیل دامس

ما افك يورقني ! ...

هذا زمان الكوايس،

حسینا ...

دوبات جنون فاعل

قد حَقَفَ عَنَا ،

وظاعة الحمل ! ... "

الـ .. ما تبقى

شعر : بشير ضيف الله

الإهداء : مرفوعة إلى الصديق الشاعر "عبد الفتاح بن حمودة" من
"المنستير" مع كامل الود ..

-1-

كأنك منعدم

والمناهة تقطبك العدمية

في شمسها !

حانق فتتوت من فرائدك،

والمناشأ مراهن موليح

باصطياد فراشات قلبك ..

بوغرها

دونك اللاهائية،،، الا إنتما.

وفي لحظة لعناق الأصابع ..

من عريها

لم يسعك الفضاء !

كأن الينابيع إذ تلتقي فيك
صبت عراجينها،
استباححت خرافتك المشربة
قلبك ريشها !
المسامات قارئك المترهل
والأغنيات نوافذ الغجرنة،،
منسج للشاقد،

أشعرت
ARCHIVE
عالموا!
<http://ArchivBeta.Sakhril.com>

-2

سراودتك المدينة حين
تقصين أوتار ليعولها الموسمي
اشتهك على غفلة منك،
أقرب منك إليك
يضاجعها هاجس الاقتحام!
غيمة .. غيمتان

ولما هانفت في شعها المستحمر،
 غطى الحما مر على صدرها
 مارقا في الغواية،،
 والموغلون العراء !
 لم تشأ أن تكون على صدرها
 زفت من فراغ ..
 تدلى كما الـ .. في مائها البدوي
 قطرت أوقانك المستميتة فيك،
 وتنفع في شهوة العرس
 شهتك المطفاة !
 سيفها ناعم - لا محالة -
 رمل المسافات غارقة في الشهي
 تقاسيم
 والمدي لم يعد حلمة النير،
 شاي التمس،

صلصلة الـ .. ما تبقى
وها جسك الآخر المر جى
نصف إغفافة ،

بعض حلم
وفوهة الوقت منزاحة
أشربك تقلدتها



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

فانضة في النوحس أفاسه ،
.. قضايرسه شفتاك اللتان
توغلنا في الحصار المكان
كما اللون

لحتر لان مسامات جنتك
يا عراجينها - الانشمار
وطفلك معنصر ينممر

فبف ضبعفا الفوضوف ..

هو العربف مقصلة الأمفنف

كما الرعشة الألامفة

فبك؁

لأنك مأدبة الشف

مقبرة اللاهفء

غفبك .. والففسء ..

ومضائف !

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

وفبها فء؁

الحكائف بعء فطرها

كرز الفقا.

لهاراف مأ فشفء الافراز الفهااف؁

أنشف فءونفا

سوط أنشف

فنون الفلاشف المءفءف كالففء

واللحظة العسلية في كأسها

صار سجادها العنبر !

مولع بالشحي ...

وليلاك شهقتها الأثونة

غفوها في الهزيع الأخير

من الحكي،

أرصفة الانظار المهرب

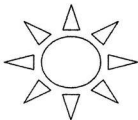
في تيهها !

ARCHIVE
http://www.veer.com

في أكساح المناهة

تشعل في العدمية

لهذا المكان !!



لم يخرج وعاد ...

بقلم : نجاح زقية

استيقظ الأستاذ عبد الرحمان معكّر المزاج هذا اليوم على خلاف عاداته المألوفة، وسجيته المتفائلة دائما رغم شرور الدنيا المتعددة، والنوائب المختلفة، كان يحسّ في نفسه وهنا شديدا وهمولا كبيرا يخترق العظام والمفاصل، فيستسلم للكدر والتيرّم ويفضل دفء الفراش على مباشرة مشاويره اليومية الموزعة بين العمل في حقل التدريس والسوق والمقهى... مشاعره اليوم أصبحت متبلّدة حيال العالم الخارجي برمته حتى إنّ يعتبر سنين كفاحه الطويلة هدرا للجهد والطاقة وحرثا في ماء البحر، وللمرة الأولى يرى نسبة الإحباط مرتفعة إلى درجة مربعة قائلا في نفسه: لم الصحوة يا عبد الرحمان وثلاثة أرباع الطلاب بمعهد الفوز إمّا أنهم محدودي القدرات أو تافهون أو فاشلون ولن يقدموا لميدان العلم والمعرفة أكثر ممّا يقدم حسّان الحشّاش نادل مقهى الزهور، وأمّا نسبة الرّبع الباقي من الطلاب فإنهم مشاريع موظفين وسعاة بين المكاتب يستهلكون أضعاف ما ينتجون، وقد لا تحدث المعجزة في عصرك ومصرّك يا أستاذ ولا تتمخّض عن نسبة الربع المتضائل سنويا تلك الطفرة الواعدة في مجال الكفاءة العلميّة ؟ لما الصحوة يا أستاذ ما دمت لن تفخر إطلاقا باكتشاف نابغة واعدة أو عبقرٍ فذٍّ ؟... غمّلمل الرجل ضحرا وكمدا وقال : ليذهب الجميع إلى جهنّم ! سوف لن

يخرج للعمل! ولن يدخل سوقا تضحّ بالبيعة الغشاشين والسماصرة المتملقين واللصوص المحترفين والهواة، ولن يعرّج على مقهى حسان ويتجرّع مشروباته المغشوشة، ويتأمل المشاهد المتكرّرة، ويصغي لأحاديث الهذيان عن الجنس والسياسة والأحلام الهاربة.. سوف لن يخرج! تنهّد بعمق واسترخى أكثر فأكثر، وفجأة طالع وجه زوجته التي أحبّها وتقبّل سجيّتها وشعر بأنّها اليوم تبدو مختلفة ثمّ تطوّر الشعور حتى رآها تجسّد جميع لعنات المرأة وقد قضى من عمره أربعين عاما وجيدا حرّاً من وجودها الملصق بظّل ثم أوقعته هذه النائمة قربة في شراكها وهرجها ومرجها، وانسته قذارة العلاقات السائبة، والغمغمات المحرّمة، والحب الذي يباع بالدينار ويرمى كالحذاء.. مع هذه الناعسة الضامرة مزّق تلك الذكريات القائمة، وأتهم نفسه بالمرض، وشهد على ذاكرته بالزور، ووقع أخيرا شهادة الزواج، وبدأ عمرا جديدا لأنّها عفّدت عن الدينار، والغمغة القذرة، واللقاءات الحرام ولم تقل له ولو مرة واحدة قبل الزواج: أحبّك... تلك الكلمة الخطيرة.. وكان يعرف ويشعر بأنّها ذاتية في حبه.. اليوم يراها مختلفة وعادت الذكريات القائمة ترجّه ونار السؤال تحرق أعصابه: يا ترى أهي بحق ملاكة الثائه على هذه الأرض؟ ألا يجوز أنّها أحكمت وضع الشرك وخذعته؟ ألم يعبر بحياتها ظلّ علاقة سائبة وغمغة حرام؟ ألا يجوز أنّها استهلكت قبل أن تعرفه عبارته أحبّك حتى الملل؟ كيف للمرأة أن تعيش ثلاثين حولاً بدون أن تقولها؟ مؤكّد قالتها لرجل آخر وإن لم تتماذى على أبعد منها؟ لا

يهمّ! ... تبقى في نظره مذنبه ولو نطقته في كتف العفاف وما تجاوزت بعد عمر الولدان، ويبقى هو ذاك المغفل المخدوع.. انتابته غربة شديدة تشبه الندم لانه كان يحتضنها بشغف كبير وحنان فياض قلما تجده الزوجات بين احضان أزواجهن المتعجرفين او المكلولين او المحبطين، وذلك بشهادتها الصادقة فما انفكت تباهي بعشرتهما المثالية منذ سنتين، وتردّد بأنّ المدة قد مرّت في لمح البصر بلا خطوط أو متاعب مألوفة بين المتزوجين حديثاً.. اليوم أيقظه المنبه اللعين في نفس الساعة والدقيقة واللحظة ولكن على حقيقة عكسية تخامره للمرة الأولى وتزجر بين جنبيه هاتفة: إنّ السنتين اللتين مرّتا كانتا طوليتين جداً.. شاقّتين للغاية، ولا بد قد نفخ أيّوب في روعي لأتحمل وجودك سنتين..

إنهما الدهر يا حبيبي الغيبة المخادعة! .. اصغى لذلك الاهتاف وأشاح بوجهه ناحية الجدار، حتى لا يتذكركم غارظها البارحة، وكم تسامرا كطفلين، وكم اغدق عليها الممسكات الحاملة التي تطرب لسماعها، وتعرف جيّدا كيف تجازيه عليها، وفكّر بأنّه لم يكن نفس الرجل البارحة والأسبوع الماضي والشهر الفائت والعام السابق، أو ربّما كان مغشياً عليه ليقبل بكلّ ذلك الهراء ويفعل ما فعل، وضافت انفاسه حيرة واستنكاراً إلى حدّ الاختناق فارخى اللحاف، وعاد ينظر ناحية المرأة.

رأها تتململ وتتأب ثم تنهض متكاسلة لتعدّ الفطور، بدت له نخيلة أكثر مما ينبغي، شعرها القصير لا يغري إطلاقاً، وجهها مرهق يشوبه انتفاخ أسفل العينين وتجمّد عند الجبين وبعض البقع السوداء وعظم

أنفها كان بارزا.. الملامح برمتها بدت دون العادية فكيف افتتن بها ليلة أمس والأسبوع الماضي والشهر الفائت والعام السابق؟ هل كان مسحورا يا ترى؟ امتعض وقال في نفسه: اليوم زال السحر المكين يا حبيبتي فاذهي للسعير ابتها الملعونة.. الفراش بدونك أوسع! وانرى يفكر في طريقة ما للخلاص منها.. قرّر أن يهجرها وينأى بنفسه على دائرة الحياة الحرة قبل أن توقع به في الشرك ويوقع شهادة وفاة حريته... الحرية !! ما أجملها !! كيف استعاض عنها بهذه النحيلة الثرثارة؟ بيد أنه تذكر عامل السن وموقعه في الحياة والمجتمع وأدرك بأن تلك الدائرة لن تليق به مجددا ومن الأفضل أن يطلقها ويوقع شهادة وفاة الحرية مرة أخرى مع امرأة أكثر جمالا وشبابا ويقتنع تماما هذه المرة بأنها لم تقل عبارة أحبك على مدى عمرها كله وإن لأبيها.. تلك غايته وذاك حقه الطبيعي والمشروع.. لم يغير السيارة مرتين خلال هذا العام ؟ صراخ الطفل تعالى بغتة وكسر سؤاله ونسق أفكاره.. الشقي ابن الشقية لسعته ذبابة أو ازعجه الغواط والبلبل أو لعلّه جائع لحليب أمه الاصطناعية فأطلق عقيرته المخبونة بالبكاء وبعرتر تركيز والده.. لم ينهض له كالعادة، ولم ينظر لخطبه ملهوقا مبسملا، بل جذب اللحاف لا مباليا، وغطى وجهه نكاية فيه هامسا لنفسه: اصرخ وابكي ايها الجرو لكنك لن تحمل بين الذراعين ولن تهدد، ولن تناغي، ولن يزول خطبك اللعين! لماذا الدلال الزائد؟! أأكون أفضل مني؟ واخترقت ذاكرته حصير بالية في دار "خمّاس" حقير يملك الساعد وعرق الجبين

وصوتا أشجّ يرتل في كل فجر سورة يسين والأرض ملك لبارئها يعطيها من يشاء والآخرة خير وأبقى، وداره الدنيا تتكون من غرفتين محبتين في زمان الجوع والتعاضد، ورأى أطفالا أربعة ينامون جنباً إلى جنب ويتحاذبون الغطاء، ذاك يرفس كالبغل، وآخر يحلم بصوت مرتفع، وثالث صامت ذاك الصمت المتفجّر، والرابع كان هو.. كتلة لحم صغيرة مستسلمة للقدر وبراءة الوجود، فزادت نغمته على النائم فوق سرير الهناء وريش النعام، ومع ذلك فجنابه يكي ويصرخ.. فجأة دلفت أمّه وبدل ان تطمئن على حالة زوجها وحبيب ليلتها الحميمة المنقضية، وتعرف على الأقل لماذا لم يصبح كدأبه، انصبت بكل نوازع الروح على سرير كتلة اللحم باكية.. آه يا غيبنة الرجال!! إنها المرأة!! على الخداع جلبت والصدق عندها أشجّ من الأكسجين فوق التمر.. البارحة لا غير همست في أذني: "أنت نبض قلبي وأنت حياتي" وها قد تبين بالمكشوف من يكون نبض قلبي وحياتها.. اللعنة! هل سيغار من كتلة لحم باكية تكوّنت من ماء ظهره في لحظة غيبوبة؟ جذب المحاف أكثر وتكوّم محبطاً، وتنبّهت المرأة لوجوده أخيراً فانتصبت عند رأسه حاملة وجوداً صغيراً ضئيلاً يتمي إليها أكثر مما يتمي إليه لأنه عاش في أحشائها تسعاً وكابدت وجوده صاحبة ونائمة... قالت له واهتمامها مسلط على الولد:

- تأخر الوقت.. الفطور جاهز.. هل أنت مريض؟

جمل ثلاث لا رابط منطقي بينها.. هكذا استوعب الكلمات، ولم يجب

- بينت شفة، وتعالى ثانية صراخ الرضيع فهمست له بحزم حنون:
- يا حبيب ماما أنت جائع.. غدا تصبح أستاذًا كأبيك.. لا تتخلف
عن موعد العمل!
- فسكت الصغير تَوًّا والجمل الثلاث اعظم من ان يدرك لها مغزى..
الحقير لقد تفوق عليه وعقله الإسفنجي استوعب كلمات لا منطق لها
عنده وهذا كليًا. أراد الرجل الثأر لنفسه فقال بدوره جملاً ثلاث:
- ابعدني جروك النابح عني ! ... الوقت نسي يا غبيّة!.. لن أخرج!
- هل جنت اليوم ؟ ابني ليس جروا !!
- اضطربت نفسه وهاجت وحدته حديث الغضب الصبياني : - تبا لها
من كاذبة قبيحة! لقد تجاوزت عن الإهانة التي لحقتها، وعن قرارك
الاستثنائي بعدم الخروج، وتشبّثت بالدفاع عن كتلة اللحم.. يجب أن
تعبد إليّ الصواب وبالطريقة المناسبة التي تهيئ المرأة وتثير جنونها:
- هو ابني أيضا.. أم ماذا ؟
- أم ماذا ؟! كيف تجرؤ على قولها؟ .. هل ألفتيني ثيبا وجلبته لمعاليك
مع جهاز؟
- وما أدراي متى وكيف جاء ؟ أنت بالحقيقة أعلم !
- لا ! هذا انحطاط كبير .. أنتهمني في شرفي يا رجل؟ ماذا أصابك
اليوم؟ نسيت أصلي وفصلي؟
- ونعم الأصل والفصل!! جذك إقطاعي لُهاب في زمن التعااضد
والتعاونيات، وأبوك يأكل السّحت بالوراثة، وأخوك جلاّد متسلّق

مرتشي، وأمك شمطاء يا ضفدعة يا ساقطة !

- أما سحنتي فلك أن تراها كما شئت، وأما الشرف فأنا أشرف منك
يا حثالة المواخير والحانات.. يا حقود... يا سقط الجوع والحرمان! أنا
المجنونة لأني احببتك وتحملت ذيل الكلب يستوي وفضلتك على خيرة
الرجال!

- ومن خيرة الرجال؟! هيا اعترفي أيتها اللعوب الخائنة!.. نعمان ولد
عمك المحتث، أم جارك هيثم الصعلوك خريج السجون؟
- السجن للرجال وكان يدخله مظلوما..

- هو إذن وكنت تحبينه! .. بل مازلت تحبينه.. اعترفي!
- لعنة الله على الشيطان؟ لقد تألفنا صغيرين ثم هبت عمره
الإصلاحيات والسجون، وتنازعنا قبل أن تظهر جنابك في بخني
المنحوس!

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- ولماذا لم تخبريني بالقصة؟
- وما المناسبة يا سيد؟ هل سألتني من قبل؟ .. يا ويحي! إنها رائحة
الشياط.. لقد احترق حليب طفلي.. سحقا للحب وللرجال!..
سأطفئ الموقد أغادر لبيت أهلي يا أستاذ.. متزرك فوق جبل الغسيل إن
كنت ستخرج.

امتلات رأسه ضحيجا وفوضى.. كانت تلك الفوضى العارمة من
اختراعه هذا الصباح العجيب، ولم يعد بوسعه أن يتلمس لها أي معنى،
تناول وسادة زوجته وضربها بضراوة لتذوق بعض العذاب، ثم وضعها

فوق وسادته، وأرعى رأسه متكئا مرفقه يدهن سيجارة على الريق، ويفكر بالفوضى التي حدثت، ودلفت المرأة حاملة طفلها يتنازعها الأسى والغضب، وانكفات تجمع ثيابا وأغراضا وتواربها بالحقية السوداء، والطفل عالق بحضنها يرضع زجاجته، ويأزرها بالرفس والصراخ، وانسياب الدموع والمخاط، رافضا سرير الهناء وريش النعام، يمارس نشاطا بيولوجيا لا إراديا ونشاطا نفسيا مستمدا من الوضع المشحون، واحتلقت دموع الولد والأم وتداخلت أصوات نحييهما، وشعر الرجل نحوها بأكثر من نوازع الحنان والشفقة.. رآهما ضعيفين وعظيمين في آن واحد، ورأى نظام عالمه المقام منذ ستين ينهار بغتة وبلا مبرر، وليناته تستقر داخل الحقية السوداء.. الجلوس لطاولة الغداء، روائح الثوم والبصل والبخور تذكر بعالم الأم، الإحساس الجميل بأن للرجل بيتا حقيقيا، وهناك من ينتظره ويحتاج لوجوده.. سهرات المساء قبالة الشاشة، والقتال من أجل مشاهدة الأخبار.. المناكفات والضحكات والثرثرة والنميمة.. فسحة يوم الأحد ومناسبات الأعياد التي ترهق الجيب... مشاهد جمّة استقرت داخل الحقية السوداء مع الثياب وأغراض كتلة اللحم الباكية وجميعا أعطت للحياة حيوية وطعما فريدا ولن تكون الحياة بدونها نفس الحياة.. وانهارت في ذهن الرجل فلسفة الوجود والشك، والسعي والإخفاق، والتجديد، والحرية، والصراع الطبقي، وهذا ما جناه أبي علي.. وقال مقهقها كالجنون:

- يا لها من أزمة يا حبيبة قلبي.. هلمّي على حضن حبيبك ودعك من

المهراء.. أنت نبض قلبي وكلّ حياتي.. هل صدّقت تمثيلية اليوم وهل
نسيت مدى شغفي بالمسرح الهازل؟

فأرحت من يدها قطعة ثياب وقالت باندهاش:

- راح عقلك يا رجل عن أيّ أزمة ومسرحية تهذي ؟

- لا تعلمين ؟ إنها أزمة منتصف العمر ولقد عبرتما بنجاح والحين

عدت.. هل كان أدائي مقنعا ؟



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

دمية زيا

" إلى محرزية .. عشقا ووفاء .. "

بقلم : البشير التلمودي

قال يخاطبها كما لو كانت أمامه :

- "احتراما لما وعدتك به.. ها أنا أكتب إليك يا عزيزتي ... " لقد فكر في الكتابة إليها ...

منذ ان تركها مساء الاربعاء الماضي ...

وعاد إلى بيته ... أو بالأحرى إلى بيت تلك الفرنسية ... فقد كان مطالبا بإعطاء درس في اللغة العربية لابنتها...

ARCHIVE

أراد أن يطمئنها فكتب مضيضا :
<http://Archivebeta.Sekhsit.com>

- إنها بنية صغيرة ... وأمها ذات مستوى رفيع...زوجها تونسي عاد ليقيم مشروعا هنا ...

وكمّن أراد تغيير الموضوع قال لها :

- إن أجمل ما في هذه المهنة المرهقة ... هو هذا الاحترام الذي نلمسه في عيون الآخرين...

- " ... يعني !؟ "

- شخصيا ... أحس بأن لي قيمة لدى أولياء تلاميذي...

- " ... فقط !؟ "

- طبعاً ... وتلاميذي أيضا ...

وتخيلها وهي تبسم في ذكاء ... فأضافت :

- طبعاً المهم في الحكاية هو ما سيقت لي في النهاية...

- "... يعني !؟" ...

- يعني ... أنت يا عزيزتي ...

عندما عاد إلى البيت ... وجد العائلة كلها في انتظاره ... والعشاء

كذلك .. بقي قليلاً مع الجماعة كما لو كان مهتماً ببرامج التلفزة ...

ثم انسحب معتذراً... ودخل غرفته ... ليختلي من جديد بالدمية

الصغيرة التي بعثت بها إليه بمناسبة عيد ميلاده...

دمية صنعتها بنفسها ولا تشبه في شيء تلك الدمية الصناعية التي تملأ

الأسواق...

دمية قادت من القماش الرفيع الخالص... قسماً... وأطرافها...

وأجزاء جسدها في منتهى الأناقة... <http://Archive.be>

ولعل أجمل وأتمن ما فيها ... شعرها الحقيقي الآتي من شعر حبيبته

المنسدل دوماً على كتفها كشلال من حرير...

طال وقوفه أمام هذه الدمية السحرية وأحس وهي تمدّ إليه يديها

مرحبة كما لو كانت قربه ...

فقال في شبه همس كأنه يخاطبها حقيقة:

- إني أحب هذه الدمية ... لأنني أراك فيها ...

قال ذلك ... ورفع بصره إلى صورتها المغلقة وأضاف :

- أحبك ...

ثم انحنى على الدمية الصغيرة المتربعة على مكتبه وهمس :

- أنت أيضا ... أصبحت أحبك كثيرا ...

هل تعرفين لماذا ؟ ..

ربما لأنك تحملين شيئا من حبيبي ...

أجل فخصلات شعرك أصبحت تغريبي كلما أراك ...

فاقترب في حب واضع شفتي عليها ...

كما لو كنت أضم رأس غاليتي ...

قال لها :

- كنت أبقى هكذا طويلا يا عزيزتي ...

أستنشق في لذة ودفء عطرك الآتي من لا أعرف من أين ؟ ..

ثم أتمدد لأستمع إلى شيء من الموسيقى الهادئة تحملني إلى حيث خيالك

المسافر كالحلم .. <http://Archivebeta.Sakhrir.com>

عندما جلس إلى مكتبه ... وحاول مواصلة الكتابة إليها ... لم يستطع

... ولم يعرف لماذا ؟ ..

فاكتفى بإخراج صورتها من حافظة أوراقه .. ووضعها أمامه .. وأخذ

يحديثها في صمت :

- أحسنت فعلا عندما أهديتني هذه الدمية ...

حين أراها ... أحس كما لو كنت بقربي ...

أعرف أنك أجمل منها لكن ...

يبدو لي أنها أكثر منك صراحة ...

- " ... كيف ؟! " ...

- لا تتعجي ... لقد قالت لي أشياء كثيرة ... سأحريك بها عندما نلتقي! ..

.....

لم يعرف كم بقي غارقا في عالم وجهها المرمرى الخالم ...
وسط زوبعة العطر والظلال ...

ابتسم لها في حب .. ثم طبع على جبينها قبلة وعنى لها ليلة سعيدة

.....

عندما وصل إلى المعهد صباحا لم يشأ الدخول وفضل الوقوف على
الرصيف أمام الباب الرئيسي ...

كانت الساعة تقارب الثامنة عندما رآها مقبلة صحبة صديقتها
الحميمة .. نظر إليها في حب كأنه يقول لها: لماذا تأخرت ؟ ..

ولماذا لم تأت وحيدة حتى أتحدث إليك قليلا ؟ ..

لكنها لم تقل شيئا واكتفت بأن ابتسمت له ابتسامتها الغامضة ..

ودخلت المعهد رغم علمها بأنه يود التحدث إليها ...

تعجب من تصرفها الغريب ... وأحس بإحباط لا مثيل له ...

بقي مشدوها كما لو كان وسط دوامة أفقدته توازنه ..

و لم يعرف ماذا يفعل بالضبط ...

أخيرا ... قرر التقدم إلى بيت الحارس وقال:

- قل لها ... بأنني سأنتظرها غدا عند منتصف النهار ...

لكن جواب الحارس زاد من إحباطه عندما قال له :

- أرجوك لا تخرجني ... لقد قالت لي آخر مرة ... هذا لا يهمك..

.....

ورغم ذلك ... حاول مرة أخرى أن يدافع عنها..

أن يجد في كلمات الحارس... ما يبرر تصرفها... وقال في قرارة نفسه:

- لعله لم يحسن إبلاغ التوصية إليها...

ربما طلب منها ذلك أمام صديقاتها... من يدري ؟ فلماذا الغضب ؟ ..

ولم يعرف حقيقة شعوره نحوها في تلك اللحظة.. فقد كان إحساسه

مزيجاً من الألم والحب..

إحساس ما انفك يعذبه كل يوم أكثر ويزرع الأشواك في عروقه...

لم يعرف كيف عاد إلى البيت وكيف وقف أمام صورتها...

كان يحس برغبة ملحة في التحدث إليها بما لم تسمح به الظروف

القاسية...

قال لها :

- كوني متيقنة بأنني لست غاضباً يا عزيزتي ... فقط لأنني أحبك...

بعد أن دخلت مع صديقتك... لم أشأ حضور الدرس... تهمت في

شوارع المدينة حتى منتصف النهار..

دخلت إلى المطعم لتناول الغداء .. ثم نزلت إلى القاعة لحضور درس في

الرسم...

وبما أنني لا أملك الكراسي الخاص بهذه المادة... قدمت كراسك على أنه

لي بعد أن رسمت اسم على اسمك... فساعيني...
صمت لحظة عندما قالها... كأنه ينتظر أن تقول كلمة..
لكن أمام صمتها الدائم .. أضاف قائلاً:
- لعل أجمل ما في هذا اليوم الحزين...
هو غياب أستاذ الرياضيات...
لكن عندما أردنا مغادرة القاعة... طلب منا البقاء لأن القيم العام
سيوزع علينا منحة أول شهر تربص...
فاهتزت قلوبنا جميعاً لذلك وأحسسنا بأننا ودعنا الإفلاس نهائياً...

.....
عندما وضع الورقة في جيبه.. خرج كالشبح وقصد المحطة...
كان واثقاً من أنه سوف لن يلقاها..
ورغم ذلك فقد انتظرها أكثر من نصف ساعة..
وبقي أمام مدرستها ينظر على نوافذ قسمها لا يعرف هل خرجت أم
لا؟..

كانت الأضواء مطفأة وكان المكان ثقيلًا... حزينا كقلبه المتجهم...
ورغم ذلك.. لم يشأ الرجوع إلا بعد التثبت...
فتقدم من الباب الرئيسي وضغط على الجرس عدة مرات...
لكن شيئاً لم يحدث فعاد إلى البيت حزينا...

.....
نظر إلى الدمية فإذا بها تبتسم له في حب كما لو أنها تقول له:

- " لا تحزن ... أنا معك " ...

فأخذها بين يديه... استلقى على فراشه... ووضعها على وجهه
ليستنشق رائحتها العطرة...

رفعها قليلا وقال في شبه همس:

- رغم كل ما قلت وما أريد أن أقول ...

أشعر بالكلمات تموت على شفئي ...

فلماذا أنت صامتة ؟ دائما صامتة ؟ ...

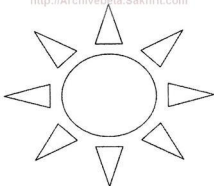
أن ابتسامتك هي تأشيراتي الوحيدة للسفر إلى جزري الوهمية...

بحثا عن حبيبتي الضائعة ...



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>



لقاء مع الفنان التشكيلي :

الأخضر بن الطيب

حاوره : محمد العائش القوي

س 1 : نفتح حوارنا بتعريف قراءنا بجمعيتكم الفنية للفنون التشكيلية بقفصة

ج 1 : تأسست جمعيتنا سنة 2001 بمبادرة من فنانين تشكيلين من خريجي المعاهد العليا للفنون ورسامين عصامين من أبناء الجهة وهي ورثة نادي الفنون التشكيلية الذي تكون سنة 1998 بفضاء دار لونقو تحت إشراف المندوبية الجهوية للثقافة بقفصة وتنشطه الأستاذة سهام رمضان واستقطب النادي عديد العناصر الناشطة على الساحة الجهوية والوطنية وترأست الهيئة المديرية الأستاذة فاختة فاخيت وتعاقب من بعدها على الرئاسة الأستاذة سهام رمضان والأستاذ منصف الهنشيري وبالعمل الجاد والمثابرة حققت جمعيتنا أهم الأهداف التي رسمتها...

س 2 : وماهي هذه الأهداف ؟

ج 2 : أهم الأهداف هي إقامة المعارض الفردية والجماعية ومساعدة أعضاء الجمعية على إقامة معارضهم مما ساهم في تنشيط قطاع الفنون التشكيلية بالجهة مثل بقية قطاعات الفنون الأخرى مثل المسرح وغيره من الفنون كما رسخنا تقليدا سنويا يتمثل في صالون قفصة للفنون التشكيلية السنوي الذي يشعل سنة 2008 شمعة الثامنة وهو يجمع

المعرض الجماعي والندوة

س 3 : هل أعددت برنامج الدورة الثامنة لسنة 2008 ؟

ج 3 : نحن نعد برنامج الدورة بالتعاون والتشاور مع المندوبية الجهوية للثقافة والحفاظة على التراث بقفصة حيث نجد دائما الدعم والتوجيه وكما ذكرت لك سابقا يجمع الصالون المعرض الجماعي الذي يمثل فرصة للمبدعين من أبناء الجهة لعرض إنتاجهم على الجمهور العريض والإعلام الجهوي والوطني أما موضوع الندوة فسيتناول موضوع - فن الحفر - الذي برز فيه الفنان التشكيلي الراحل وابن الجهة إبراهيم الضحاك - 1931 - 2004 - وهو من الرعيل الأول للمبدعين في المجال التشكيلي على الصعيد الوطني

س 4 : يجرنا ذكر الفنان الراحل إبراهيم الضحاك أن نسألك هل عرفت مدينة قفصة في تاريخها فن الرسم وأسماء لامعة في هذا المجال ؟

ج 4 : نعم لقد عرفت مدينة قفصة في الأربعينات من القرن الماضي نادي للرسم مقره - بقراج البلدية - أشرف عليه رسام فرنسي يدعى -بورج- يجمع هواة الرسم من أوروبيين وعرب منهم أحميدة وحادة وعثمان كمرجي والمولي والركباني وعمر عون ويتمثل نشاطهم في الرسم المباشر للطبيعة بسيدي أحمد زروق من ضواحي المدينة كما أقيمت بعض المعارض الفردية والجماعية في أوقات متباعدة جدا من أهمها معرض جماعة السبعون سنة 1970

س 5 : إحداث المعهد العالي للفنون والحرف بقفصة ألن يؤثر على

نشاط جمعيتكم أم هو الإضافة والتتويج للمشهد التشكيلي بالجهة
على غرار الجهات الأخرى ؟

ج5 : المعهد العالي للفنون والحرف هو بالأساس مؤسسة جامعية لتعليم
الفنون تعزز رصيد الموهوبين في مجال الفنون وبالتالي تكوين جيل
أكاديمي منتج ومستهلك للفنون مما يساعد على المدى المنظور بانتعاش
الضائقة الفنية للمواطن وقد باركنا هذا التعزيز للقطب الجامعي بقفصة
وسعينا لإقامة شراكة مع إدارة المعهد للتعاون في إقامة المعارض
والندوات بمشاركة الطلبة والأساتذة وبذلك يتوسع مجال نشاط جمعيتنا
ويتعزز دورها في النسيج الجمعياتي والهيئة المديرة الحالية برئاسة الأستاذ
منصف المنشوري تدعو كل الموهوبين في مجال الفنون التشكيلية
والحرف للانضمام لعضوية الجمعية والمساهمة في نشر الثقافة البصرية في
عصر تهيمن عليه ثقافة الصورة. <http://Archivebeta.S>

